جمال سليم

ال صرية الجديدة

Bibliotheca Alexandrina
0130876

جمال سليم

الناصرية الجديدة

مكتبة مدبولي

مقدمــة

هذه مجموعة مقالات نشرت فى مجلة « روز اليوسف » وصحف أخرى فى مواجهة قضيتين :

الأولى : قضية محاولة الحزب الوطنى الديمقراطى إحتواء الناصريين فى إنتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٤ .

الثانية : قضية إنشاء حزب ناصرى حيث ظهرت محاولتان أولها قامت بها المجموعة التى إعتقلها السادات فى إنقلاب ١٥ مايو ١٩٧١ اليمينى ، وهى المجموعة المسماة بمراكز القوى وقد تبع هذا الانقلاب اليمينى إضاءة النور الأخضر لقوى اليمين الرجعى و بقايا الطبقات المنقرضة لاسترداد أنفاسها وخوض معركة فرض وجودها والانطلاق من مواقع الدفاع إلى الهجوم على الناصرية وانجازاتها وعلى رمز ثورة يوليو الزعيم جمال عبدالناصر .. اما المحاولة الثانية فقد إتبعت الطريق القانونى لانشاء حزب ناصرى يقوم على تحالف قوى الشعب العامل .. وهاتان المحاولتان وان كانتا تتم من مواقع فوقية .. ولا تتوغلان فى التجمعات الناصرية فى قاع المجتمع الذى يموج بالأفكار الناصرية و يتشوق لحركة بعث جديدة .. و بعيداً عن هاتين المحاولتين فان هناك ــ فى القاع كما سبق القول ــ عدة تجمعات منها ماتمتد جذوره إلى عضويته فى التنظيم الطليعى الذى أنشأه عبدالناصر فى مايو ١٩٦٣ .. ومنها مايستمد ولاؤه للحركة الناصرية ومن إنتظامه فى منظمة الشباب التى خرجت إلى الوجود سنة ١٩٦٥ .. ومنها مجموعات الدعاة التى قامت ونمت

وتطورت من خلال أمانة الدعوة والفكر وحركة التثقيف داخل الاتحاد الاشتراكي والعمل السياسى فى صفوف الشعب وهذه التجمعات تلتقى جميعها وبلا إستثناء باليسار العربى بإعتبار الناصرية رافداً رئيسياً يمثل نهراً أساسياً فى مجراه العام .. وترفع هذه التجمعات شعاراً لها الميثاق الوطنى الذى قدمه عبد الناصر فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية وبيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ ..

فى مواجهة القضيتين ، قضية محاولة الاحتواء وقضية إنشاء الحزب .. وما تثيره هاتان القضيتان .. كانت هذه المقالات التى قد تعنى اتجاهاً جديداً فى الحركة أو ما يسمى بالناصرية الجديدة ..

١٥ يناير ١٩٨٦

« جمال سليم »

• الناصرية الجديدة

يوجد ناصريون جدد : نعم

لكن هل توجد ناصرية جديدة .. ؟ اذا كان الأمر كذلك فانها تعنى أمرين أولهما : أنها جديدة تماماً واذن فلا يجب أن تنتسب إلى ناصر.. وثانيهما : إنها ناصرية فى ضوء جديد وواقع جديد وبالتالى فلابد أن تنتسب إلى الناصرية .. لكنها تصبح فى هذه الحالة ناصرية متجددة .. ، ناصرية جديدة .

إذن يوجد ناصريون جدد .. وتوجد ناصرية جديدة ونحن لانقصد بالناصرية الجديدة أن نقدم أعمال عبدالناصر المتمثلة فى خطبه والميثاق الوطنى ١٩٦٢ وبيان مارس ١٩٦٨ فى ثوب جديد ، نحن بالتحديد نقصد أن الناصرية لم تظل ساكنه وفى الظل طوال هذه الفترة من رحيل عبدالناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ إلى سبتمبر ١٩٨٥ أى خمسة عشر عاماً .. بل انها تفاعلت مع كثير من الايدلوچيات الأخرى وإستفادت وأفادت ، وخضعت لحزمة شديدة من الضوء إنصهرت ، واحترقت أطرافها .. ، وماتت الأجزاء التى لم تستطع الصمود ولا المقاومة .. ، ودخلت الناصرية بعد ذلك فى حمام ساخن من النقد أزال عنها التراب والغبار وغسلها من الغموض وانصاف الحلول والوسطية والمجاملات وبقايا القبلية التى علقت بها .. ، وأزالت عنها هالة التقديس ووضح نهائياً أن الناصرية من صنع البشر.. ، صانعوها بشر يصيبون ويخطئون و يتعرضون لفترات من الضعف والقوة.. وبالتالى فالناصرية ليست وصية تورث ، ولا بيتاً يؤول للأولاد والبنات .. ولا مزرعة يمرح فيها الأقارب والرفاق .. ، ولا ملعباً تجرى فيها المباريات بين فريق يرتدى الكاكى ، وفريق أخر يرتدى الثياب الملونة ، وفريق ثالث يرتدى الثياب البيضاء .. وفريق رابع يحمل بين طيات ثيابه صندوقاً مملوءاً بالالوان لمجاراة الظروف المتغيرة ..

لقد إنتهى هذا العهد بالناصرية

والناصرية الجديدة تسمو على هذا وترتفع عليه وتتخطاه تماماً ..

لقد أثبت عبدالناصر مقولة صحيحة هو أن الدول الصغيرة والنامية تستطيع أن تقف على قدميها وترفع علم إستقلالها وتملك إرادتها فى تعبيد طريق تقدمها ، ولا تقدم ــ بداهة ــ إلا بالإشتراكية ..

نحن بالطبع نملك عدة ايضاحات بشأن المجتمع الاشتراكى الذى نريده آخذين فى الاعتبار تجربة ٦١ ــ ١٩٧٠ .. غير متجاهلين المقدمات التى بدأت بقانون الاصلاح الزراعى الصادر فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ .. وعمليات التمصير والتأميم .. ولنا بالطبع رأى فى الثورة .. والقوى التى قامت بالتغير.. والقوى التى تقوم بالتغيير فى المستقبل .. والطريق إلى التغيير وهل يتم بالطريق الديمقراطى ؟

إن السؤال الذى يفرض نفسه هو: ماهى مراحل التطور التاريخية التى تعتبر ضرورية بعد وصول الناصريين إلى الحكم .. وكيف يحققون المجتمع اللاطبقى .. ؟

لقد برهن الاشتراكيون القدامى على أنه بعد القضاء على الرأسمالية لايمكن أن ينشأ المجتمع الاشتراكى بشكل قدرى .. بل المطلوب أولا وجود فترة تحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية وهذا المجتمع سوف يبنى على مرحلتين

مرحلة أولى وهى أقل تطوراً وهى مرحلة الانتقال

ومرحلة ثانيه وهى أكثر تطوراً وهى مرحلة الاشتراكية

لابد أن نقاوم بحسم الخرافات التى تقول ببناء المجتمع الاشتراكى على الفور.. فهناك مبادىء عامة فى التصنيع الاشتراكى وفى اعادة الهيكلة الاشتراكية للزراعة وفى المعطيات الثقافية القائمة وكيف تتغير..

إن الوصول إلى المجتمع الاشتراكى ليس عملية سهلة ، بل عملية صعبة وشاقة

إن الاساس الاشتراكى للمجتمع الذى نريده يختلف ــ بالطبع ــ عن الاساس الاشتراكى للمجتمع الوارد فى البيان، اننا نجد أساس المجتمع الذى نطلبه ونسعى اليه فى الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج .

ونأتى إلى سؤال آخر:

كيف يمكننا تحديد طبيعة الاشتراكية كنظام اجتماعى .. ؟

فى التجارب السابقة قامت الطبقة العاملة تحت قيادة الحزب الماركسى بالتحالف مع الفلاحين والفئات الأخرى بالاستيلاء على السلطة ..
فى تجربتنا المصرية قامت مجموعة من الضباط بقيادة تنظيم عسكرى بالاستيلاء على السلطة فى يوليو ١٩٥٢

إن البورجوازية لن تتركنا نستولى على سلطتها سواء بالديمقراطية أو بغيرها ، والتطور الديمقراطى سوف يصبح فضيحة لأنه لن يوصلنا إلى شىء ، بينما الطبقات الشعبية تزداد بؤسا وسحقاً .

وكان يمكن أن يقودنا التطور الديمقراطى إلى لا شىء .. ونصبح باكستان أخرى أو نيكاراجوا .. أو الفلبين .. ولذاما كاد الضباط الاحرار يستولون على السلطة كما سبق القول ــ حتى أصبحت الدكتاتورية ضرورة موضوعية لأنه يجب إسقاط السلطة القديمة .. ولن تسقط من تلقاء نفسها ..

كان لابد من ضرب النظام القديمه وحلفائه وأنصاره وكان يتعين ــ أيضا ــ على الثورة الناشئة الدفاع عن نفسها أمام هجمات الامبريالية .. ومن هنا تحققت لأول مرة الديمقراطية لغالبية الشعب ..

انهم يقولون أن الدكتاتورية سادت .. والديمقراطية ماتت ..
نحن نعارض هذا الادعاء .. إذ يجب أن نسأل : الديمقراطية لمن .. ؟
وببساطة ينبغى أن يكون الجواب : الديمقراطية للشعب ولا ديمقراطية لأعداء الشعب ..

يقول عبد الناصر:

إن الديمقراطية السياسية لايمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الإجتماعية . ان المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات إلاّ اذا توافرت له ضمانات ثلاثة :ــ

١ ــ أن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره
٢ ــ أن تكون له الفرصة المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية

٣ـ ان يتخلص من كل قلق يهدد أمن المستقبل فى حياته

بهذه الضمانات الثلاثة يملك المواطن حريته السياسية ويقدر أن يشارك بصوته فى تشكيل سلطة الدولة التى يرتضى حكمها ، كذلك فان الديمقراطية السياسية لايمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات .. ان الديمقراطية حتى بمعناها الحرفى هى سلطة الشعب .. سلطة مجموع الشعب وسيادته .

« والصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات لايمكن تجاهله أو إنكاره وإنما ينبغى أن يكون حله سلمياً فى إطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات » .

« ولقد أثبتت التجربة التى صاحبت بدء العمل الثورى المنظم أنه من المحتم أن تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها ومنعها من أى محاولة للعودة إلى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصالحها » ..

إن سلطة الثورة باعتبارها ممثلة لغالبية الشعب من عمال وفلاحين وموظفين تتجه فى هذه الحالة إلى إستقطاب كل الطبقات الأخرى بأساليب وأشكال متعددة ومنها مثلا : المجالس المنتخبة ، المنظمات الشعبية ، النقابات ، مجالس الادارات فى الشركات والمصانع وهنا يظهر السؤال :

من يجب أن يشترك فى الحكم ؟

إنه من حيث أن الثورة باعتبارها من البورجوازية الصغيرة ومن العسكريين أبناء الفلاحين والمزارعين المتوسطين فى الريف ومن أبناء الموظفين كانت قد إستقطبت بالفعل جميع الطبقات الأخرى الكادحة ..

بالطبع لابد أن نعى أن مطالب الطبقات المندحرة هى الاشتراك فى الحكم مع هذه الطبقات المستقطبة من الثورة وذلك للعمل ضد الاشتراكية وللحيلولة دون أن امتلاك الثورة لجميع وسائل الانتاج ووضعها فى خدمة الشعب وتحت ادارته ..

ان هذه الممتلكات هى الاساس التى ينبنى عليه النظام الاشتراكى .. وهذه الملكية لابد أن تتحقق بشرطين

- تبعيتها للدولة بادارة رشيدة متقدمة .
- أيلولتها للجمعيات التعاونية .

ان الثورة يجب أن تؤمم أدوات الانتاج الرأسمالية دون انتظار لفلسفات أو تقارير لجان .. لأن هذا هو الاساس الاشتراكى ، والخطأ الوحيد الذى تقع فيه الثورة الاشتراكية أو ذات الملامح الاشتراكية أو الثورة ذات الاتجاه اللارأسمالى . هو الانتظار والترقب .. إنتظار ماذا .. وترقب من .. ؟

إن الانتظار والترقب يورثان الانسان الثورى مرض التردد والاضطراب والخلط .. وهذا مالا يجب أن يحدث .. لأن هذا هو ماتنتظره الطبقات المندحرة لتتجمع من جديد وتضرب ..

كذلك لابد من النظر إلى الصناعات الخفيفة والحرفية نظرة أعمق وأشمل من مجرد ضم هؤلاء الصناع فى مجمعات اكبر لتطوير عملهم وحرفهم وتنظيم حريتهم فى إنتاج مايريدون .. لأنهم سيعملون فى اطار اكبر واوسع و بضمانات كثيرة متعددة الجوانب لهم ولأسرهم ..

المجتمع الاشتراكى لابد أن تكون خطوطه واضحة ولابد من خضوعه لعملية تخطيط وتنظيم وهذا لن يتم إلا بالامتلاك والسيطرة الكاملة على كل وسائل الانتاج كبيرها وصغيرها وطبقاً لبرامج علمية متفق عليها بطرق ديمقراطية .

ماطبق فى الصناعة يجب ــ أيضا ــ أن يطبق فى الزراعة وعلى الثوريين أن ياخذوا بعين الاعتبار أنه يمكن أن تتكون طبقات رأسمالية عن طريق الصناعات الخفيفة والحرفية .. وفى الزراعة أيضا ..

لكن كيف يكون موقف الثورة من الفلاحين .. ؟ لقد اتجهت ثورة يوليو الى الفلاحين مباشرة فأصدرت قانون الاصلاح الزراعى بتحديد الملكية فى ٩/سبتمبر ١٩٥٢ وبموجب هذا القانون حددت الملكية بـ ٢٠٠ فدان ونزع ملكية مازاد على ذلك ثم أعيد تحديد الملكية بـ ١٠٠ فدان ووزعت الأراضى المصادرة على الفلاحين .

ان هناك نوعان من الفلاحين .. نوع يعمل بسواعده .. ونوع آخر يعيش من ناتج أرضه ، فى هذه الحالة يكون مايحصل عليه ناتج عمل الأخرين .. وهنا تنشأ ظاهرة الاستغلال فى الزراعة ومن هنا نشأ ماسمى بنظام المزارعة أو المشاركة فى

الزراعة .. فيتقدم مزارع إلى مالك لعشرة أفدنة مثلاً و يستأجر منه خمسة أفدنة فيما يسمى بنظام المشاركة بحيث بشارك المالك المستأجر فى نفقات الزراعة ثم يقتسمان أرباح الناتج .. ، لكن هذا المستأجر قد لايعمل وحده بل يستأجر عاملاً زراعياً يعطيه أجراً .. وقد إستطاعت ثورة يوليو أن تمنح مثل هذا العامل الزراعى قطعة أرض .. وكان عدد مثل هؤلاء العمال الزراعيون اكثر من مليونى فلاح يعيشون على الكفاف .. حقاً كان من الممكن أن يمتلك احدهم نصف فدان ولم يكن يكفيه فيضطر للعمل فى أرض الآخرين و يبيع مايملكه.

يقول عبد الناصر:

« ان ملايين الفلاحين حتى ملاك الأرض الصغار طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الأرضى المتحكمين .. وان الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف أقرب ماتكون إلى السخرة تحت مستوى من الأجور يهبط كثيراً ليقرب من حد الجوع .. وان حق التصويت قد فقد قيمته حين فقد إتصاله المؤكد بالحق فى لقمة العيش » .

كان ٦١ مالكاً فقط يملك كل منهم اكثر من الفى فدان ، ومجموع ملكياتهم ٢٧٧,٢٠٨ فدان وكان هناك ٢٨ مالكاً يملك كل منهم أكثر من ١٥٠٠ فدان ومجموع ملكياتهم ٩٧,٤٠٤ فدان وكان هناك ٩٩ مالكاً يملك كل واحد منهم اكثر من الف فدان ومجموع ملكياتهم ١٢٢,٢١٦ فدان وكان هناك ٩٢ مالكاً يملك كل منهم اكثر من ٨٠٠ فدان ومجموع ملكياتهم ٨٦,٤٧٣ فدان ، أى أن ٢٨٠ مالكاً فقط كانوا يملكون ٥٨٣,٤٠٠ فدان .

بل ان الملكيات التى تزيد على ٢٠٠ فدان كانت فى يد ٢١١٥ مالكاً وكانوا يملكون ١,٢٠٨,٤٩٣ فداناً .

كل هذا بينما كان يوجد ٢,٣٠٨,٩٥١ مالكاً لا يملك كل منهم اكثر من فدانين ومجموع ملكياتهم ١,٢٣٠,٠٦٢ فدان أى أن ٨٤٪ من الملاك لايملكون إلا ٢١٪ من الأراضى . بل أن من يملكون أقل من فدان كان يصل مجموعهم إلى اكثر من مليونى فلاح ..

ولما كان من المعروف فى ذلك الوقت ــ ١٩٥٢ ــ أن مساحة ٣ أفدنة هى التى تكفل الحد الأدنى لمستوى معيشة أسرة متوسطة الأفراد فى مصر، فان معنى هذا أنه كان هناك اكثر من مليونين من صغار الملاك الزراعيين يعيشون على الكفاف، و يضطرون الى العمل فى إقطاعيات كبار الملاك .. وأخطر من هذا كله كان هناك عمال التراحيل المعدمون، وكان يقدر عددهم عند قيام الثورة بأكثر من مليونى عامل ..

وقد استحوذت مأساة عمال التراحيل على فكر وقلب جمال عبدالناصر والواقع أن تصور عبدالناصر للاصلاح الزراعى لم يكن مقصوراً على أنه مجرد اعادة توزيع الملكية توزيعاً عادلاً، ان التصور كان أعمق من ذلك بكثير.. كان التصور هو تغيير العلاقات الاجتماعية فى الريف وتحرير الفلاح .. فى اجتماع اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦١ نبّه جمال عبدالناصر إلى أن تحديد الملكية الزراعية للفرد بـ ٢٠٠ فدان ثم بـ ١٠٠ فدان لم يقضى نهائياً على نفوذ كبار الملاك .. قال عبدالناصر فى الاجتماع:

« أريد أن أقول لكم أنه بعد تحديد الملكية بـ ١٠٠ فدان أنا كنت بالأمس أطلع على أسماء العائلات وما يملكون من أرض، العائلات التى عندها ١٠٠ فدان، توجد عائلة بها ٣٢ شخصاً، كل واحد يملك ١٠٠ فدان، وهذا يعنى أن الاقطاع موجود طبعاً فى القرية وهناك عائلات بها ١٥، ١٨ فرداً يملك كل منهم ١٠٠ فدان. لانظن أننا قضينا على الاقطاع بتحديد الملكية بـ ١٠٠ فدان» ولذا فانه يعود بعد اكثر من ثمانى سنوات .. فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ و يقول:

« لقد جاء الوقت الذى يجب أن نبت فيه نهائياً فى بعض المسائل المتعلقة بالأرض وملكيتها واستغلالها وأن يكون ذلك البت بطريقة نهائية وفق أحكام الميثاق وضرورات التطور. الميثاق نص على أن ملكية الأرض تحدد بـ ١٠٠ فدان، وقال الميثاق بعد سنة ١٩٧٠ يجب اعادة النظر فى الموضوع ويجب ألاّ تزيد الملكية عن ١٠٠ فدان للأسرة المكونة من رب الاسرة والزوجة والأبناء القصر.. وآن الأوان لأن نحدد هذه الأمور ونبتّ فيها نهائياً، ونحن نقترح الآن ولكى يحسم الامر وتستقر صورة الملكية الزراعية على نحو سليم أن تتحدد ملكية الأرض الزراعية بـ ٥٠

فدان للفرد على أن يبقى حد الملكية بالنسبة للأسرة بالرجل وزوجته وأولاده القصر فى حدود الـ ١٠٠ فدان .

وقد وافق المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى على اقتراح عبدالناصر وصدر قانون جديد للاصلاح الزراعى .

ان مادفع عبدالناصر لتقديم هذا الاقتراح هو الخطأ الذى حدث فى قانون الاصلاح الزراعى الصادر فى ١٩٥٢/٩/٩ والقانون اللاحق الذى حدد الملكية بـ ١٠٠ فدان للفرد .. لقد سمحت هذه القوانين بظهور صور جديدة من الاقطاعين الذين يملكون مع عائلاتهم آلاف الأفدانة .. ولذا فقد قلنا بادىء ذى بدء أن الطبيعة الاجتماعية للاشتراكية تتطلب ــ دون انتظار ــ الاستيلاء على الاراضى وتحويل ملكيتها الى الدولة بادارة رشيدة متقدمة .. ثم ايلولة بعض الملكيات الاخرى إلى الجمعيات التعاونية ذلك لأن التراجع عن اتخاذ قرارات قطعية ونهائية سوف يسمح باستمرار بوجود المجتمع الطبقى .. ولن يتحول هذا المجتمع . أبداً الى مجتمع لاطبقى .. ولهذا فنحن نصرّ .. وهو إصرار يستمد قوته من تجربة واقعية .

ولابد من أن يتجه العمال فى المرحلة القادمة إلى الالتحام المباشر مع الفلاحين لا من خلال المؤتمرات والعمل السياسى بل من خلال الجمعيات التعاونية حيث يجب أن يوفر لهم العمال ــ من خلال هذه الجمعيات ــ الآلات الحديثة والمتطورة والتى تساعدهم تكنولوچياً فى سرعة الميكنة الزراعية وإدخال التكنولوچيا إلى الريف .

فالزراعة الحديثة سوف تكون قادرة على تفجير الامكانيات الزراعية فى البشر وفى الاراضى والآلات ..

اننا نعطى قدراً أكبر للموظفين وللعمال فى جهاز الدولة وكذا نهتم إهتماماً كبيراً بعمال القطاع العام .. فالبؤس العام الذى يعيش فيه الموظفون والعمال والسعاه وأفراد الخدمة العامة ومإليهم مغطى بستار كثيف من اللامبالاة والصمت لما يقوم به جهاز الدولة من عسف واضطهاد وتعقيد مصالح الجماهير فى العصر الملكى وقام بنفس الدور فى العصر الجمهورى .. فلم يكن أداة جيدة للتوصيل وأفرغ القرارات الثورية من محتواها وتعالى على الجماهير وظن نفسه أعلى منهم ،

وفسد وارتشى وخضع للأغراء .. وقد بحثنا بدقة عن اسباب ذلك .. فرأينا أن مايقوم به الموظفون من عسف واضطهاد للجماهير وتعقيد مصالحهم .. وأخذ الرشوة منهم إنما هو رد فعل ضد الاوضاع .. فالموظف الذى يكتب استمارة تخالص مثلاً لمقاول مائة الف جنيه و يعرف أن ماقام به لايساوى ١٠ آلاف جنيه ، والاخر الذى يكتب إستمارة تخالص بثلاثمائة ألف جنيه عن عمارة يعرف أنها ستنهار بعد عدة أيام .. هل يصمت أم يطلب ثمناً لصمته .. وهل يصرف الاستمارة أم لا .. هل يبلغ السلطات المسئولة .. ؟ أن السلطات المسئولة هى التى سمحت بمثل هذه الأوضاع لفساد هذه السلطات .. وهى التى فتحت الباب على مصراعيه للنهب باسم الانفتاح الاقتصادى .

هذه على كل حال أفكار أولية حول الطبقات والفئات المسحوقة تحت وطأة الغلاء والتضخم .. ومازلت أتذكر رؤ يتى لشبابيك البنوك والصفوف من الاهالى التى تقف أمامها حاملة دفاتر التوفير، وسيدات يقفن فى طوابير أمام محلات الصاغة بشارع الصاغة بالموسكى لرهن قطع ذهبية يحملونها : عقود خواتم زواج .

هؤلاء وأحلامهم الذهبية حطمها تضخم قاس أفقد مدخراتهم قيمتها ..

كيف يمكن الصبر على أصوات هذه الفئات التى تزداد بؤساً وفقراً فى دواو ين الحكومة ومصالحها وفى مصانع القطاع العام ومؤسساته .. ؟ كيف يمكن أن نقف مع هؤلاء لنوفر لهم الحد الادنى من الاشباع لمتطلباتهم بحيث لايفقدون الكرامة والكبرياء .. ثم يفقدون قواهم ورغبتهم فى الحياة .. ؟ لابد من وضع حد لهذا ، لابد من خلق مجتمع متحرر من الحاجة ..

ان هؤلاء الموظفين يسيرون فى الشوارع ، و يرتادون الاماكن العامة بحثاً عن وجوه صديقة فى الاحزاب والمؤسسات السياسية ، وجوه تقف معهم .. لكنهم لايعثرون على وجوه صديقة انهم يعثرون فى الواقع على وجوه .. لكنها وجوه لا تتسم بالصداقة أبداً .. لماذا . ؟

لأنهم لايمكن أن يصبحوا أصدقاء للانحلال السياسى والتفكير السلبى .. ولايستطيعون أن يبتسموا لرؤ ية التدمير الذاتى والخداع والتصفية والحلول

الـوسـط .. لأن هـذه الأشـيـاء ــ بـبـسـاطـة ــ هـى الـتى أودت بهم ، وهى التى أوصلتهم الى هذه الأوضاع المتردية ..

من أجل هذا لا تبدو لهم هذه الوجوه صديقة !

الناصريون الجدد

تثير ذكرى ميلاد الزعيم جمال عبد الناصر فى الخامس عشر من يناير سنة ١٩١٨ ، كثيرا من الاراء والافكار حول مستقبل الناصرية ، خاصة فى هذه المرحلة من المد الاستعمارى وحركات التحرر الوطنى حيث نشأ صراع جديد له عدة أشكال مختلفة بين الديمقراطية وبين المطالبات التقليدية بتقرير المصير والحكم الذاتى ، وبين العنف فى مواجهة العنف والارهاب ضد الارهاب فى بلدان العالم الثالث .

وباعتبار الناصرية نشأت فى الاصل كحركة تحرر وطنى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وخاضت معاركها الاولى تحت هذا الشعار وهذا ما أكسبها قوة دفع نحو الابعاد الاجتماعية التى بدأت بالتمصير ثم التأميم مما مهدّ طريق ثورة يوليو نحو بناء الاشتراكية التى وضعت اقدامها على درجاتها الاولى بالقرارات الاشتراكية فى يوليو سنة ١٩٦١ ودعمت بعد ذلك بقرارات أغسطس سنة ١٩٦٣ .

لقد كانت احوال المجتمع المصرى قبل ثورة يوليو تثير الرثاء فقد كان المجتمع محكوما بضغطين اولها انه كان مجتمعا بطىء النمو، وطبقا للاحصائيات الرسمية وصل الى حالة كاملة من الركود خلال اربعين سنة مابين ١٩١٢ الى سنة ١٩٥٣ ففى هذه الفترة كانت نسبة النمو فيه لاتزيد على متوسط قدره ١,٥٪ سنويا .. وهى نسبة كانت الزيادة فى عدد السكان تستوعبها ، ومعنى ذلك انه خلال هذه السنوات الاربعين لم يطرأ تغيير يذكر على حالة المجتمع المصرى

وثانيها : ان هذا المجتمع ــ كما يذكر الزعيم ناصر فى حواره بمؤتمر الانتاج فى ١٨ مارس سنة ١٩٦٧ ــ كان يعيش فى حالة خلل محزن بتأثير التفاوت بين الطبقات و يكفى أن نذكر أن نصفا فى المائة من سكان المجتمع كانوا يحصلون على نصف دخله القومى كله ..

ومن هنا كان الحل الاشتراكى يفرض نفسه بغير بديل كطريق للتقدم الاجتماعى والاقتصادى ..

فما هو الحل الاشتراكى .. أو ما هى الاشتراكية .. ؟!

هل هى الالحاد كما يقولون .. ؟ هل هى المتاهات الفلسفية .. ؟

هل هى المساواة فى الفقر والجوع .. ؟

يقول عبد الناصر: « الاشتراكية فى النهاية بيت سعيد لكل اسرة يقوم على عمل القادرين أو المهيئين للعمل من افرادها رجالا أو نساء .. بيت مفتوح للصحة ، وللعلم ، وللثقافة مظللا بالأمان الاجتماعى ضد المفاجآت متفاعلا مع غيره من البيوت السعيدة مشتركا معها فى الاهتمام العام بأمر وطنه و بأمر أمته و بأمور العالم الذى يعيش فيه » ..

لكن الاشتراكية ــ بالطبع ــ لا تتحقق بالنيات الطيبة ، والبيت السعيد لن يبنى بالدعوات والامانى .. وكان لابد من اعادة توزيع الثروة بين النصف بالمائة الذى يحصل على نصف دخل المجتمع و بين الـ ٩٥٪ الذين يحصلون على النصف الباقى .. ومن الطبيعى ألاّ يتنازل هذا النصف فى المائة بسهولة عن إمتيازاته ومن هنا كان لابد لثورة يوليو أن تختار بين أن تنضم الى النصف فى المائة أو الـ ٩٥٪ من جماهير الشعب .. والى أى منهم تنحاز .. ولم يسلم الاقطاعيون بضرورة اعادة توزيع الثروة ورفع بعضهم السلاح فى وجه الثورة .. والثوار العسكريون يقبلون كل شىء إلا حمل السلاح ضدهم .. بل أن دعاة التغيير بصفة عامة يقبلون كل شىء إلا رفع السلاح ضدهم .. عندئذ لم يجدوا بدامن حمل السلاح .. اذ كيف يبيح الاقطاعى لنفسه ولأهله حمل السلاح و يرفض أن يقابل بالمثل .. ؟! وفى هذا الركن الصغير حدثت التجاوزات التى يدينون بها ثورة يوليو .. و بصرف النظر عن هذه الادانة أو تلك ، فثورة يوليو ليست معصومة من الخطأ ومن الطبيعى أن تحدث

تجاوزات ، ومن الطبيعى أن تقع المظالم .. وهذا لا يدين ثورة يوليو انما يدين هؤلاء الذين رفعوا السلاح ضدها و وقفوا فى طريقها محاولين إجهاضها وهو الأمر الذى تولاه بعدهم هؤلاء الذين قاموا بالعدوان الثلاثى ثم بحرب يونيو سنة ١٩٦٧ .. وعلى مسار ثورة يوليو تحقق الكثير الذى لا يمكن انكاره لا من اعداء ثورة يوليو والمتربصين بانجازاتها ولا من هؤلاء الذين أدينوا بمعاداتها والوقوف ضدها .. أما الجماهير فقد عبرت عن تأييدها وارتباطها وتمسكها بثورة يوليو وقيادتها يومى ٩ و١٠ يونيو ١٩٦٧ .. وعندما ودعت زعيمها أثر رحيله فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ .. ونفس هذه الجماهير والأجيال الجديدة منها هى التى ترفع اليوم صور عبدالناصر فى كل مكان وتردد أسمه وتصلى على جثمانه المسجى فى قبره بشارع الخليفة المأمون .. وهذه الجماهير هى نفسها الرصيد الحقيقى للحركة الناصرية وهى التى لم تنس للحظة واحدة نصوص ميثاق العمل الوطنى و بيان مارس سنة ١٩٦٨ .. وكلمات عبدالناصر .. وهى نفس الجماهير التى تتقدم متشوقة إلى أطار يضمها كحركة ناصرية إيجابية فى المجتمع .. وفى المستقبل .. وفى مواجهة العدوان المستمر على إنجازات ثورة يوليو كالاستقلال الوطنى والتحرر الاقتصادى والخروج من دائرة النفوذ الغربى .. والبعدين العربى والافريقى .. والارتباط والمسائدة الحقيقية لحركات التحرر الوطنى .. ثم القطاع العام والتصنيع والزراعة الثقيلة .. والتعليم المجانى والتخطيط لتنمية المجتمع .. الخ ..

والحركة الناصرية الجديدة لا تنهض من فراغ ، كما أنها لا تبعث من الماضى . ولا تستمد وجودها من الارتباطات القديمة بالتشكيلات التنظيمية لثورة يوليو ، ولا تدين بالولاء لعناصر يوليو من الضباط ، أو رفاق عبدالناصر ، أو حتى أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أو الحرس القديم للثورة .. أو الضباط الاحرار .. لأن الناصرية الجديدة تعتقد أن أفكار عبدالناصر قد تخطت هؤلاء جميعا ، وأن هؤلاء تخلفوا عن أفكار ناصر بسبب ممارستهم للسلطة .. فقد كانوا طلاب سلطة وحراس نظام ليس إلاّ .. لم يكونوا رفاق ثورة .. إنما كانوا مجرد موظفين تحولوا فى غياب الديمقراطية إلى قادة .. والى مسئولين واستعانوا بأدوات وشخصيات منقرضة من

النظم القديمة المعادين بطبيعة تكوينهم وتاريخهم للتغيير.. الحذرين من الجماهير.. الخائفين دوما من التقدم الى الامام..

وهذا مايفرق الناصرية الجديدة عن الناصرية الدوجماتية التى تتمسك بحرفية مواثيق ثورة يوليو.. وتعيش فى الزمن الماضى.. ولا تؤمن بالزمن الجديد.. والجيل الجديد.. والواقع الجديد.. ولا تأخذ فى الاعتبار المتغيرات المعاصرة.

إن الناصرية التقليدية التى يتبناها بقايا مجلس قيادة الثورة القديم والضباط الاحرار تؤمن بتحالف قوى الشعب العامل.. ونحن أيضا نؤمن بالتحالف.. ولكن مامفهوم التحالف.. ؟

مفهومهم للتحالف ثابت..

مفهومنا للتحالف متغير..

عندما تحدث عبدالناصر عن عمال التراحيل، كانوا موجودين، وكانت اعدادهم تتراوح بين ٣ و ٤ ملايين عامل.. أين هم الان.. ؟

الفلاح الآن ليس هو الفلاح الذى أعطته الثورة الارض فى سبتمبر سنة ١٩٥٢، الفلاح الآن لم يعد عبدا للارض، حبه للارض تضاءل، رغبته فى الملكية فترت.. ترك الارض وسافر الى الخارج، يتعامل الآن بالدولارات.. فى بيته تلفزيون ملون وثلاجة وكاسيت وزبون دائم للسوق الحرة ومدينة بورسعيد المفتوحة..

لم تعد المشكلة فى الريف — الآن — هى الملكية، بل المشكلة الآن هى نقص الانتاج وسوء التخطيط والتفتيت وعدم وجود كادر زراعى ثورى يقود العمل الزراعى والانتاج الزراعى من خلال أجهزة الدولة كوزارة الزراعة والإصلاح الزراعى وكليات الزراعة ومراكز الابحاث الزراعية.

فى مصر ينتج فدان القمح ٧ أرادب، فى الهند ينتج فدان القمح ٥٧ أردبا.. لماذا. ؟

المشكلة الحقيقية فى الريف الآن هى تخلفه.. الريف مازال يعيش حياة القرن الاول الميلادى.. مازال الشادوف والساقية والمنجل وحيوانات التسمين والالبان هى أساس العمل فى الريف إلاّ فى القليل النادر..، إن الميكنة فى الريف وفى الأراضى الزراعية بصفة عامة لاتمثل أكثر من ٢٠٪ أى أن مجموع

الاراضى الزراعية التى تزرع بالطرق البدائية والمتخلفة تزيد على أربعة ملايين فدان ..

والعامل الآن هل هوالعامل الذى من أجله صدرت تشريعات العمل والتأمينات الاجتماعية المتعددة ؟

فى المجتمع الآن طبقة جديدة أو فئة جديدة أشد فقرا وبؤسا من طبقتى العمال والفلاحين أو عمال التراحيل وهى فئة الموظفين .. فهل كانت صورة الموظفين عام ١٩٥٢ (عام الثورة) على هذه الصورة .. ؟

أمثلة كثيرة تؤدى بنا الى طرح فكرة التحالف بمعناها القديم .. فالتحالف اليوم يجب أن يتم بين فئات وطبقات لاتناقض بينها فى المصالح الاساسية ..

طبقات مطحونة تنشد التغيير والخروج من المأزق الحالى .

نحن نقول ، أننا نعيش فى السنوات الاخيرة من القرن العشرين حيث ينطلق شعاع من الليزر ليسقط قمراً صناعيا هائما فى الفضاء ..

فى عام ١٩٥٢ عندما قامت الثورة لم تكن هناك اقمار صناعية كان هناك قمر واحد نتغزل فيه ..

فى عام ١٩٨٦ يحلق فى الفضاء عدة مئات من الاقمار الصناعية .. أما القمر الواحد أو الوحيد فقد ظهر أنه كرة أرضية يجرى البحث عن امكانية العيش فيها ..

فى عام ١٩٥٢ كانت أعلام فرنسا وانجلترا مرفوعة على عواصم كثير من دول الشرق الاوسط .. الآن لم يعد يوجد علم واحد أجنبى فى المنطقة إلاّ علم أسرائيل .. كل الاعلام المرفوعة .. أعلام وطنية ..

من هنا تختلف نظرتنا عن نظرتهم .. عن نظرة الدوجمايتين ..

نحن نقول بأن عملية التغيير فى المجتمع لا يمكن أن تقوم بها ثورة مسلحة .. وأن التغيير يجب أن يتم بالطريق الديمقرطى .. ونحن فى تقييمنا لثورة يوليو نزعم أن تخطيها للمرحلة الديمقراطية هو الذى أورثها كل السلبيات .. ولذا فنحن نركز على الديمقراطية ..

الناصرية الجديدة تقول بالديمقراطية فى بناء الحزب وفى بناء المجتمع ..

بينما ـــ يمكن ـــ أن تستجيب الناصرية التقليدية لأسلوب حكم الفرد ..

نحن لانثق بقيادة مالنختار إنما نثق بالجماهير عن طريق الانتخاب الحر المباشر ..

نحن ندين التعيين فى المناصب ونتهمه فى الاجهزة الشعبية وفى مؤسسات الدولة التشريعية .. ونحن نرفض الإختيار للثقة بديلاً عن الخبرة ..

كذلك لاتؤمن الناصرية الجديدة بالوصاية .. فلا يوجد أوصياء على الناصريين الجدد حتى ولامن أسرة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر.. فراجيف غاندى لم يصبح زعيما للهند لأنه ابن انديرا غاندى انما لأنه إبن حزب المؤتمر الهندى .. تربى فى الحزب ، عاش مشاكله ، شارك فى بنائه ، لم يصل الى الجماهير من فوق .. بل خرج من صفوفها .. ولذا فنحن نعتبر العمل الحزبى ركيزة أساسية وجوازا للمرور للقيادات المختلفة ..

شىء آخر وهام تؤمن به الناصرية الجديدة وهو الرفض الكامل للقيادات الفردية .. فالقيادة جماعية أو مايسمى بجماعية القيادة .. حقا لابد أن يوجد من يتحدث باسم الحزب .. من يمثله .. ولكن أى قرار أو اتجاه .. أى رأى لابد أن يكون صادرا عن الجماعة ..

هناك نظرة مختلفة للناصريين الجدد بالنسبة للقضايا الاساسية للمجتمع كالقطاع العام .. والملكية فى المجتمع .. والانتاج .. والاستثمار .. والتعليم .. وغيرها من القضايا .. والى لقاء قادم ...

أيـن يقـــف الناصـــريون ؟

فى السياسة كما فى الاقتصاد لابد من التحديد !

فى الماضى لم يكن التحديد لازما ولا مطلوبا بسبب غياب الديمقراطية وقلة الوعى .. ولكن اذا قلنا « الناصريون » .. فماذا نقصد بالضبط .. أو بالتحديد من هم .. ماذا يمثلون .. ماذا يعتنقون .. ؟

أن الناصريين هم الذين رفعوا شعار التغيير قبل ثورة يوليو .. وعندما جاءت الثورة كانت تعبيرا عنهم وترجمة صادقة لاهدافهم ، وقد آمنوا بالثورة بدءاً من شعار « الاتحاد والنظام والعمل » .. ثم بالمبادىء الستة ، وبالتوجه العربى الوحدوى ، وبالميثاق الوطنى (١٩٦٢) ثم بالبيان التصحيحى لثورة يوليو والمسمى ببيان ٣٠ مارس (١٩٦٨) .

وقد استلهم عبدالناصر أهداف التغيير التى ينشدها الشعب بأنها لابد أن تحقق مجتمع « الكفاية والعدل » وكما يقول فى خطابه يوم ١٩٦٥/١١/٢٥ فى مجلس الامة عن المجتمع الذى يريده :

« مجتمعاً تذوب فيه الفوارق بين الطبقات عن طريق تكافؤ الفرص بين المواطنين .. مجتمعاً يستطيع الفرد الحر أن يحدد لنفسه مكانه فيه على إساس كفايته وقدرتة .

ثم ينبه عبدالناصر الى أن « اشتراكيتنا هى أساس واقعنا وتجربتنا ، كما أن حلول مانواجهه من المشاكل لا يقتضى منا أن ندير رؤوسنا بعيدا عن أرض التجربة ، ولنذكر دائما أن المحظور الوحيد الذى ترفضه الاشتراكية هو استغلال الانسان للانسان » .

فالواقع والتجربة تعطينا شكلا محددا للاشتراكية ، لكن ماذا بشأن الديمقراطية ؟

كان جمال عبدالناصر يرى أن الحرية ليست مطلقة « لأن الاشتراكية نفسها معناها عملية تنظيم للمجتمع بحيث تكون هناك كفاية و يكون هناك عدل » .

بل أننا نرى أن عبدالناصر لم يكن يرى الديمقراطية الا من خلال الاشتراكية ومن خلال عملية تنظيم المجتمع .

« أن معنى الديمقراطية بالنسبة للاشتراكية قد يختلف ، أما الواحد بيبص بالنسبة للاشتراكية بيجد أنه عايز يحدّ من حريات الناس ، أقصد هنا من حريات الناس فى التملك تدخلت فى الحرية ، أحدّ من حريات الناس فى اطلاق الاسعار تدخلت فى الحرية ، بأحد من حريات الناس فى الاستغلال .. تدخلت فى الحرية .. » ..

و يتساءل عبدالناصر ما هى الاشتراكية والديمقراطية بالنسبة للفلاح ؟

« الاشتراكية والديمقراطية أن يجد فرصة متكافئة فى بنك التسليف أو يجد التطبيق لقانون سبعة أمثال الضريبة ، أن يستطيع تسويق محصوله بالنسبة له .. هذه هى الاشتراكية وهذه هى الديمقراطية .. وبالنسبة لمن لا يجد ما يأكل ، ما هى الديمقراطية والاشتراكية ؟ بالنسبة له أن يأكل .. بالنسبة للذى لا يجد عشاء أولاده ، إذا ظللنا نقول له ده ثلاث ساعات حرية واشتراكية وديمقراطية ، ما جدوى هذا له .. ؟ الحرية والاشتراكية والديمقراطية أنك توفر له العمل وتوفر له وجبة لأولاده ، وتوفر له عملاً شريفاً يستطيع أن يطمأن اليه على يومه وعلى مستقبله » .

هذا هو شكل الديمقراطية الذى كان يراه عبدالناصر صالحا لمصر ، ديمقراطية من خلال تنظيم المجتمع .. ومن خلال عمليات التحول نحو الاشتراكية .

وحتى الاشتراكية ، كان عبدالناصر يراها من خلال الواقع المصرى والمجتمع المصرى والتجربة المصرية .. فماذا كانت تقدم اليه هذه المعطيات .. ؟

كانت هذه المعطيات تقدم لنا فكرة الثورة مختلفة عن الثورة بمعناها التقليدى ، ثورة يقوم بها مجموعة من الضباط ، أى طبقة عسكرية ـــ اذا صح هذا التعبيرـــ

وبورجوازية صغيرة ، تبدأ من الانقلاب وتنتهى الى الثورة .. وترى أن تغيير المجتمع يجب أن يتم فى اتجاه الاشتراكية ولكن أية اشتراكية ؟

الاشتراكية العلمية مع الأخذ فى الاعتبار ظروف المجتمع المصرى الذى يختلف عن المجتمعات الاوربية ، فالدين فى المجتمع المصرى لم يكن له دور متخلف .. ولم يكن رجال الدين الاسلامى والمسيحى يقفون خارج المجتمع .. أو على حافة المجتمع يستنزفونه و يغرقونه فى متاهات .. لم تكن هنا صكوك غفران للبيع .. أو تصاريح دخول للجنة وللعالم الآخر كما كان فى أوربا .. الثورات ضد المحتل كانت تخرج من الازهر.. من المسجد ومن الكنيسة .. رجال الدين هنا لم يكونوا يملكون الاقطاعيات والمساجد والكنائس لم تكن محلات تجارية تملك وتتاجر وتبيع وتشترى .. رجال الدين هنا كانوا فقراء .. لانهم كانوا يثقون أنه لا غنى سوى غنى النفس .. وأن الله هو الذى يملك الارض وما عليها .

الدين فى مصر كان له دور ثورى ، وكان رجاله من الشعب و يقفون فى صفوف الشعب .. لم يكونوا طبقة متميزة .

الاختلاف بين الطريق العربى للاشتراكية وبين الطريق الأوربى للاشتراكية واضح ، نحن ، الناصريون ، نرى أنه اذا كانت الاشتراكية لا تعترف إلاّ بالملكية العامة لوسائل الانتاج ، فإننا وطبقا للميثاق نرى أن لدينا ثلاثة أنواع من الملكية ، ملكية عامة ، وملكية تعاونية وملكية خاصة .. وان المجتمع يتقدم تحت قيادة تحالف قوى الشعب العامل لا بقيادة البروليتاريا لأن الظروف التاريخية أدت إلى ضعف الطبقة العاملة وتشرذمها وأدّى هذا بالتالى إلى أن تقوم بالثورة مجموعة عسكرية ، واننا لا نحل التناقض الطبقى فوق بحر من الدماء ، بل بإذابة الفوارق بين الطبقات .. وبالحلول السلمية .. فالقطاع الخاص موجود ولكنه يعمل تحت قيادة القطاع العام ولا يتناقض معه .. ، كذلك نحن نرى أن « الاشتراكية ليست متاهات فلسفية وليست شعارات ذات طنين . الاشتراكية فى النهاية بيت سعيد لكل أسرة .. والانتاج هو الاداة لتحقيق الاشتراكية » .

وقد علمتنا التجربة أشياء هامة ، علمتنا أن جهاز الدولة الذى عمل مع العهود الماضية لايصلح للعمل لصالح الثورة ، وأنه لايستطيع أن يتحرر من انتماءاته السابقة ، وأنه يستطيع ، وكما حدث فعلا ـ تفريغ القرارات من ثوريتها بحيث تصل الى الجماهير فارغة المضمون والقيمة .. ومن هنا يجب على كل ثورة تحطيم جهاز الدولة واقامة جهاز غيره من المؤمنين بالثورة وبأهداف الثورة .

وعلمتنا التجربة ـ أيضا ـ أن الثورة الاشتراكية لابد أن تسبقها وتتقدم عليها الثورة الديمقراطية .. وأنها المجال الوحيد الذى فيه يمكن أن تنمو فيه ارادة الجماهير وتتثقف وتتعلم وتعى وتتبلور هذه الارادة بحيث تختار شكل النظام وجوهره .

وعلمتنا التجربة ـ أيضا ـ أن الضمان الوحيد لصيانة المكاسب التى تتحقق هو اقامة مؤسسات ديمقراطية محترمة لا تخضع ولا تنحنى لرغبة الحكام .

هذه هى الناصرية ، وهؤلاء هم الناصريون .. فتحت أي مظلة يقفون اذن .. ؟ .. أية مظلة حزبية من المظلات القائمة يمكن أن تحتويهم .. ؟

ان الحزب الوطنى يقول أنه الحزب الوحيد الذى أعلن أنه الممثل لثورة يوليو... وأنه الوريث الوحيد لها... وأن مكان الناصريين عنده .. شاغر ولابد أن يأتوا اليه ليأخذوا مقاعدهم .

والتجمع يقول أنا الصيغة الملائمة للناصريين ، لأننا لسنا حزبا بل تجمعا يضم اليسار الوطنى كله ، والناصريون شريحة عريضة من اليسار الوطنى .. فمكانها تحت مظلته .

وحزب العمل .. يقول : لقد فتحت صدرى للناصريين فى الحزب وفى الصحف .. فأنا أولى بهم .

والسؤال البسيط الذي يطرح نفسه : ولماذا لا ينشىء الناصريون حزبهم المستقل .. ؟ .. لماذا يصبحون عالة على الأحزاب الأخرى .. ولماذا يظلون ضائعين فى الشارع السياسى .. ؟! فمن لديه الحل لهذا اللغز.. ؟!

• الحزب الذى يتسع للناصريين

لا شك أن الناصريين يملكون تواجدا بالشارع السياسى ، لا بعددهم فقط ، انما ـ أيضا ـ بتجربتهم التنظيمية ، ووضوحهم الفكرى .. فهم يقولون ببساطة اننا ضد الاستغلال الانسانى .. فنحن لسنا مع مذهب « دعه يسرق و ينهب وافتح له الباب ليمر ويهرب » .

وفى الوقت الذى كان يصدر فيه كل يوم كتاب يهاجم عبدالناصر والناصرية ظهرت فكرة المنابر بمقدمة دراماتيكية قامت بها لجنة تسمى لجنة مستقبل العمل السياسى ، فررت أن نظام الأحزاب فى الغرب هو النظام المناسب لنا جدا .. وعلى كل قوى واتجاه وتيار أن ينهض و يعبر عن نفسه طبقا لبرنامج لا يختلف عن أهداف المجتمع أويتناقض مع الدستور..

وتقدمت كل التيارات .. ، وقبلت تقريبا جميعها ما عدا المنبر الناصري الذى قدم برنامجه كمال رفعت رحمة الله عليه .

لقد كان الاختلاف واضحا بين عدد من الناصريين حول القيادة الجديدة

كان عدداً من الذين عملوا مع عبدالناصر مازالوا فى السجن فيما يسمى بقضية مراكز القوى ، لم يكن موجودا منهم سوى القليل : كمال رفعت ، كما الحناوى ، عبدالمحسن أبوالنور، كمال الدين حسين ، البغدادى ، حسن ابراهيم .. ، أمين هويدى .

وبالاضافة الى هذا القليل كان هناك عدد من المدنيين المدافعين عن الناصرية مثل : د. محمود القاضى رحمه الله ، كمال أحمد ، عبدالهادى ناصف د. ابراهيم سعد الدين صبرى بدوى .. الخ .

ولم يستمر الاختلاف طويلا واتفق على شخصية كمال رفعت لكن لجنة الأحزاب أو لجنة المنابر رفضت المنبر الناصرى .. وقال لى وقتها كمال رفعت أن هناك حظراً قائما على اقامة حزب أو تجمع ناصرى فى الوقت الذى يسمحون فيه بوجود مايسمى بحزب الأحرار الذى يعادى الاشتراكية .

فى هذا الوقت بدأت المفاوضات بين كمال رفعت و بين عدد من المسئولين عن حزب مصر أو منبر الوسط للإنضمام اليهم .. ورفض كمال رفعت ، ولم يقبل مبدأ المناقشة ... فى اذابة الناصريين داخل حزب مصر .. وأصدر كتابه ردا على كل هذا تحت عنوان « ناصريون ؟ .. نعم » .

ولم تسترح العناصر الناصرية الى هذه النتيجة ورأت أن دورة الحياة السياسية بدأت تدور فى مصر .. وهى واقفة معزولة .. تتفرج .

وحينئذ ظهر اتجاهان :

- اتجاه يرى رفض كل شىء والانطواء والتقوقع الى أن تنضج الظروف الموضوعية لتحرك الناصريين .
- اتجاه يرى العمل السياسى تحت أية لافتة حزبية تسمح بالحركة الحرة للناصريين .

وهنا لم يكن فى الساحة سوى التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .. ، وظهرت لأول مرة فكرة المظلة الحزبية للناصريين .. وانضم كمال رفعت الى التجمع .. وأصبح فى مكتبه والمتحدث الرسمى باسمه .. ودخل أول انتخابات تحت شعاراته فى دائرة الدقى (فئات) مع زميله محمد خليل (عمال) ولم يقدر لهما الفوز.

واذا كان كمال رفعت قد انضم الى التجمع باعتباره ممثلا للناصريين .. ليفتح الباب لهم للانضمام .. فانهم لم يطرقوا الباب وراءه و يدخلوا التجمع .. بعضهم انضم ، لكنه أحس بالغربة منذ اليوم الأول .

وهكذا ظل الناصريون خارج التجمع .. والعناصر القليلة التى دخلت التجمع لم تجد فيه سوى صحيفة يمكن بها التعبير عن الرأى بدلا من الموت صمتا وحتى هذه الصحيفة لم تعد تعبر إلاّ عن الذين يديرونها .

وظلت تجربة انضمام كمال رفعت لحزب التجمع تعمل عملها فى العقل القيادى للحزب الوطنى الذى ورث حزب مصر.. ، فقد كان السادات يبحث عن شعبية مفقودة و يرى أن الحزب الوطنى يضم مجموعة من العناصر التى صاحبت قرارات التحوّل عن الاشتراكية منذ الانفتاح الاقتصادى .. وهذه العناصر تجلس فى القمة وتعانى من الفراغ .. فلا جماهير للحزب ، ولا منظمات ولا حركة سياسية تدور فيه .. ورأت هذه القيادة بذكائها أن البيت الخالى يمكن أن تدب فيه الحياة بدخول الناصريين بحيث يقومون بالحركة السياسية تحت نظر ورقابة عناصر حركة مايو.. لم يكونوا يبحثون عن نوعية معينة فقط .. بل عن كم أيضا ، وقالوا أنه اذا كان التجمع قد نجح فى جذب كمال رفعت إلى صفوفه ... فكيف لا يستطيع الحزب الوطنى ــ الآن ــ و بقيادته الجديدة والتغيير الذى حدث فيه ضم الناصريين .. وهو الذى أعلن أنه المعبر عن ثورة يوليو.. ؟ !

و بادىء ذى بدء اذا أراد ناصرى أن يدخل الحزب الوطنى .. فهل يجد فى برنامجه ذكر للوثائق الأساسية لثورة يوليو.. ؟

هل يجد الميثاق الوطنى .. هل يجد بيان بيان مارس .. ؟

مجرد سؤال ..

● أغراب فى حزب التجمع .. !

اذا كان الحزب الوطنى الديمقراطى غير صالح للتعبير عن الناصر يين ، ولا يتفق مع نظرتهم للتغيير.. ، ويختلف تماما مع الاستراتيجية التى انتهى اليها عبدالناصر فى السنوات الأخيرة من حياته بدءا ببيان مارس وانتهاء بخطبه وأحاديثه ومناقشاته العلنية والخاصة حتى وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

فمن فى الساحة السياسية من الأحزاب والتجمعات يمكن أن يصلح تعبيرا عن الناصر يين ومظلة لهم ومجالا لحركتهم ونشاطهم .. ؟

قد يقال أن حزب « التجمع الوطنى الوحدوى التقدمى » هو أصلح الأحزاب ، وهو الوحيد الذى يتسع لهم و يضمهم ويحتويهم ، ويجد فيه الناصر يون أنفسهم ، و باسمه وتحت لافتاته ينشطون ويحققون وجودهم .

وهذا القول — فى ظاهره — يحمل قدرا من المنطق ، لكنه يتهاوى عند أول تجر بة ، فلا يوجد ناصرى واحد انضم الى حزب التجمع ولم يشعر بغر بته .

الناصر يون القلائل الذين انضموا الى التجمع فر يقان :

● الفر يق الأول هو ما يطلق عليهم « بارونات الناصرية » .. أى الذين اشتركوا فى قيادة العمل الوطنى من مكاتبهم .. واستبدلوا الأشخاص بالأوراق ، والأسماء والأرقام بالوجود الحقيقى .. وكانوا يتلقون التقار ير و يتجاهلون الحقائق .. وهم البيروقراطية الحز بية التى كانت عبئا على العمل الوطنى طوال السنوات الماضية وهم الفئة التى أساءت الى العمل الوطنى وإلى الناصر ية ..

وهم أصحاب التعبير المشهور « تمام يافندم » وكانوا يتظاهرون بأنهم قوة وسلطة .. لكنهم كانوا لا حول لهم ولا قوة .

ولم يستطع عبد الناصر أن يستفيد منهم ، ولا أن يكونوا حراسا حقيقيين للثورة .. ، وسمحوا للطفيليين والانتهاز يين بالعبث بها لا بالا تفاق والتعاون . انما بسبب الضعف الأزلى المصابين به .. وطاعون السلطة الذى كان ينخر فى اجسامهم وعقولهم ..

هذا الفريق وجد فى التجمع ضالته ، لأن التجمع مجموعة من الذين يجيدون النضال على الورق ومن المكاتب .. و يتفننون فى الهتاف لبعضهم البعض .. ، وهم لم يستطيعوا بعد التخلص من الروح القبلية التى تتميز بها المجتمعات القديمة والتى تتناقض تماما مع العلمانية التى يزعمون أنهم يتحلون بها .. وهم يتعاونون وتعاونوا مع الذين أساءوا لثورة يوليو .. والذين مهدوا لتجر يد الثورة من سلاحها الحقيقى وهو الجماهير .. ، وفتحوا صفحات جر يدتهم للكاتب الأوحد الذى بث الخوف والهزيمة ومهد للضربة الأولى سنة ١٩٦٧ ليفرش الأرض بعد ذلك لسيل الهزائم المقبلة .

وهم قد يستطيعون السخرية من فلان الكاتب ، وفلان الصحفى و يتفننون فى الصاق الصفات .. لكنهم لا يستطيعون مواجهة الحقيقة .. انهم يجيدون الفكاهة ولذافهم أبطال مسرحية كوميدية تعرض هذه الأيام .

● أما الفريق الثانى الذى انضم الى التجمع .. فهم دراو يش الناصرية الذين تفانوا فى تقديس الزعيم ، و بذا لم يستطيعوا أن يمارسوا حقهم الوحيد فى الوجود .. وهو النقد والنقد الذاتى .. واعتبروا كل من نقد الناصرية .. وحاول تنقيتها مما علق بها كافرا وملحدا بعبد الناصر .

وكانوا يقولون أن واجب الناصرى الحقيقى هو حب عبد الناصر وحفظ وثائق الناصرية .

وهؤلاء أساءوا للناصرية أكثر من أى عدو آخر . .

لأن أى نظرية لا يمكن أن تنمو وتتطور وتتبلور وتعيش وتحيا الا بالنقد . . وعبدالناصر نفسه كان يطلب النقد والنقد الذاتى . . وصفحات الميثاق الوطنى حافلة بالنقد . . ، ومناقشات عبدالناصر نفسه مكتظة بالنقد . . النقد له . . والنقد منه للآخرين . . وقيمة عبدالناصر الحقيقة ليست فقط فى أنه أمسك بالطريق الصحيح للتغيير . . انما لأنه أنشأ تياراً يمكن أن يتبلور فى أيدلوجية ولن يتبلور التيار الناصرى إلاّ بالتطوير والتجريب والتنظير والنقد .

ولذا فالتجمع ليس أصلح الأحزاب للناصريين . . فأى الأحزاب يمكن أن يتسع لهم . ؟

• هـــل فـــــات الأوان ؟

يظن بعض السياسيين أن الناصريين فى عجلة من أمرهم . وبما أنهم كذلك . فقد فاتهم قطار الانتخابات ، ولم يصبحوا حزبا بعد ، ومن ثم فليس أمامهم من خيار سوى الموت كمدا .. فقد فاتهم القطار .. وانتهى أمرهم .

وهو ظن خاطىء بلا شك ، فالحزب السياسى ، أي حزب لا يستهدف من وجوده الدخول فى الانتخابات للوصول الى السلطة .. انما يستهدف أولا أن يكون تعبيرا صادقا عن التيار الذى يمثله .. ووعاء للحركة السياسية وموجها لها فالسياسة ليست الانتخابات . وليست مقاعد النواب فى مجلس الشعب فقط .. انما السياسة هى حركة المجتمع فى سعيه وسيره نحو التقدم .

ومن هنا فالناصريين ليسوا فى عجلة من أمرهم ، لأنهم يثقون ــ تماما ــ أنهم مع حركة التاريخ ، والتطور الطبيعى للمجتمع يسمح للفيالق الناصرية أن تبنى حزبها غدا أو بعد غد .

واصرار الناصريون على بناء حزبهم المستقل لا يعنىء ادانة الأحزاب الأخرى ، أو رفضها فكما سبق القول ، لا تتضمن برامج الأحزاب القائمة نصا واحدا يسمح لهم بحرية الحركة والعمل السياسى والنشاط بصفة عامة .. بل أن بعض الأحزاب الحالية ــ للأسف الشديد ــ قائم على معاداة الناصرية وعلى تصفية الحسابات مع ثورة يوليو.

ومثل هذه الاحزاب التى ينحنى رجالها على خريطة العمل و يقسمون الدوائر والمكاسب بالأسلوب القديم الذي يوشك أن ينقرض ، متوقعين أن يرضى الناصريون بفتات الموائد الباقية من الأحزاب الأخرى ، بوهم أن الشدة التى ألمّت بهم ، قد حولتهم إلى آدميين أكثر إستئناسا ، غير مدركين أن ألم الشدة ينبت الأنياب والأظافر .. والمحنة تصنع المعجزات مثلما صنعت المحنة فى يونيو سنة ١٩٦٧

سـد المـقـاومـة وقلاع الصمود والتحدي .. مثل هذه الأحزاب واقعة تحت وهم أن الـنـاصر يون مثل كل الاحزاب الأخرى لايكادون يلمحون من يلوّح لهم بمقعد ولو على باب حديقة حتى يهرعوا نحوه .. لا ، الناصر يون ليسوا كذلك ياسادة ..

الـنـاصـر يـون اذن لـيـسـوا حـزب المناسبات الرسمية ، وليسوا حر يصين على الانـتـخـابـات الـتى يرجون أن تحقق للمواطنين كل خير باختيارهم الصالحين من أبناء الوطن .

والـيـأس لايمـكـن أن يـتـسـرب إلى الـنـاصـر يين نـتـيـجة المماطلة والتسو يف فى الاعتراف بحزبهم ، فقد صبروا طو يلا ، وهم قادرون على مواصلة الصبر أكثر وأكثر يـسـاعـدهـم على هـذا الـصبر تلك الثقة التى يستمدونها من القيادة الحالية للرئيس حـسـنـى مـبـارك .. الـذى لايـتـرك فـرصة للنزول للجماهير إلاّ واستفاد بها ليبقى وسط الـنـاس ، يـسـتـلـهـمهم ، يتسمع نبضات قلوبهم ، تتلقف آذانه الحساسة همومهم ، يعى ـــ جيدا ـــ مشاكلهم ، يعرف نشيدهم ، ولحنهم المميز .

ان الـنـاصـر يين يـؤ يـدون الالـتـحام بالجماهير والتعايش معها ، كما يؤ يدون الـقـطاع العام و يطالبون بمساحة أكبر له فى الاقتصاد القومى ، كما يؤ يدون تحو يل الانـفـتـاح ـــ بصدق ـــ الى انفتاح انتاجى وليس استهلاكيا ... وهو عين ما ير يده الرئيس مبارك .. ومن هنا يلتقى الناصر يون بالرئيس مبارك .

ان الـنـاصـر يين يـصـرون على سـيـاسـة الاسـتـقـلال الوطنى وحمايته بالتمصير والـتـأميم ، كما يـصرون على دعم وجود العمال والفلاحين بنسبة لا تقل عن ٥٠٪ فى المجـالـس الـنـيـابـيـة وهـم يطالبون بأن يمسك القطاع العام بالتجارة الخارجية . و يـسـيـطـر على الهيـاكـل الأساسية فى الاقتصاد القومى .. وهناك مطالب أخرى تـرتـعـد لها فـرائص الذين يتوهمون أنهم فى موقف يسمح لهم بتصفية الحسابات مع ثورة يوليو .. ذلك لأنهم يتخيلون ـــ نظرا لاصابتهم بعمى الألوان ـــ أن فاتورة الثورة تـسـتحق السداد لأن وقت الثورة قد انتهى .. وهذا خيال مر يض .. ففاتورة الثورة مـازالـت مـفـتـوحـة ... وشهية المجتمع للتغيير لا تتوقف أبدا فنحن نر يد أن نصبح أحسن حالا ولا نر يد ـــ بالطبع ـــ أن نرتد الى الوراء .

اننا لا نريد أن نضغط من الآن .. بل من خلال القنوات الشرعية لحزبنا الآتى ، نضغط لكى لا تتهاون إرادة الثورة فى القيادة الحالية عن أخذ حق المجتمع كاملا .. فهذا ما قصرت فيه ثورة يوليو ، وهذا نفسه ما أتاح للطفيليين أن يسرقوا قوت الشعب و ينهبوا ثرواته فى السبعينيات !

ولا يعنى هذا أن الناصريين يزعمون أنهم قادرون على تغيير الكون ، وصنع المحال ، بل يعنى أنهم يرون أن وجودهم ضروري فى الساحة السياسية ، لا عن أنانية بل عن قناعة ، لا عن حب للسلطة ، انما عن حب للوطن .

ان زمن الناصريين قادم ، ولمن يقولون أن الباب أغلق ، نجيبهم : نعم ، ولكننا نعرف أن الباب يفتح لمن يدق عليه .

• رد على إحسان عبدالقدوس

عـنـدمـا كـتـب توفيق الحكيم كتابه « عودة الوعى » وقال فيه مامعناه أنه فقد وعيه خلال ثورة يوليو و بالتحديد فى مرحلة حكم عبدالناصر التى انتهت فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، قلنا أن هذا الكاتب الكبير على صواب وقال الدراو يش أنه أخطأ ، وقلنا نحن أنه لم يخطىء ، وأنه منطقى جدا مع نفسه .

نحن الـنـاصـر يين نـزعـم أن الـظروف والبناء الطبقى للفرد تحدد وجهة نظره للـنـاس ولـلأشـيـاء ، و بـالـتـالـى فتوفيق الحكيم ككاتب ومفكر و يعمل بالثقافة والـفـكر والفن ، يعنيه أول مايعنيه أن ينشر فكره و يذاع رأيه مهما كان هذا الرأى وهـذا الـفـكر، قد يختلف رأيه ، قد يشتط قد يجور على بعض الحقائق ، وقد يتفق ، قـد يـنـشـر كـتـابـا ضـخـما عـن « الـتـعـادلـية » فى الكون والحياة ، وقد يعبر بهذا عن « الـوسـطـيـة » كل هذا مقبول منه لأن لكل انسان وجهة نظر مختلفة فى الحياة وفى الناس ومن الطبيعى أن تختلف وجهة نظر الحكيم عن وجهة نظر محمد الفقى الذى يـعـنـيـه أول مـا يـعـنيه أن يحقق مستوى معيشة أفضل لأعضاء اتحاد النقابات التى يمثلها ، وقد تختلف — أيضا — وجهة نظره عن الموظف فلان الفلانى الذى يعنيه — أول مـا يـعـنـيـه — أن يجـد مـكـانا فى الأتوبيس ليذهب الى مقر عمله فى المواعيد الرسمية حتى لا يجازى بخصم يوم من راتبه .

كـذلـك تختـلـف وجـهـات الـنـظـر — مـثلا — بالنسبة للشعب الفلسطينى ، فـالـرئـيـس رونـالـد ريجان قد لا يرى هذا الشعب و بالتالى لا يعترف بوجوده ولا بمنظماته ، بينما يرى الرئيس مبارك هذا الشعب و يعترف بوجوده وبمنظماته .

كذلك كان المصريون على اختلاف فئاتهم يرون عبدالناصر بطلا قوميا لأنه استرد قناة السويس بالتأميم ، وتصدى لمخططات الدول الكبرى لوضعنا فى دائرة النفوذ ، بينما كانت نظرة الأمريكيين والفرنسيين والانجليز تختلف ـ قطعا ـ عن نظرتنا الى عبدالناصر.

الفرد منا تختلف وجهات نظره طبقا لموقعه وظروفه ومصالحه ، فاذا جاء حاكم ونشر العدل وساوى بين الناس ، وسار فى طريق منع الاستغلال ، لكنه منع الكتاب والمثقفين ـ تجاوزا من الكتابة والنشر ـ فإنه يصبح فى نظرهم دكتاتورا بينما يصبح بطلا عند الكافة .. ويجب عندئذ أن نفرق بين أمرين ، هما الكافة والخاصة من الناس ، مع أى منهم نحن .. ؟

توفيق الحكيم رأى فى عبدالناصر دكتاتورا ، وهى وجهة نظر كاتب ومثقف له احترامه وتقديره ، لكن رأى الكافة أن عبدالناصر حاكم عادل وهو رأى له احترام أكبر وتقدير أعظم ، ولا قيمة للرأى الخاص الى جانبه .. لأن الحاكم لا يحكم فردا بل يحكم جماعة .

وكذلك ينطبق الأمر على احسان عبدالقدوس ، فاحسان كان يملك مؤسسة صحفية ، هو صاحبها له الرأى والكلمة العليا فيها ، فإذا جاء الحاكم وأخذها منه ليضمن أن تعبر عن الكافة وليس عن الخاصة فما هو الاسم الذى يطلقه عليه صاحبها ، ليس أقل من ديكتاتور ولكن بقية العاملين والكتاب العاملين والصحفيين يختلفون معه تماما ، فحيث أنهم لم يفقدوا حريتهم ولا حقهم فى إبداء الرأى والمشورة والنصح والنقد لمجرد أنهم أصبحوا أكثر أمانا واطمئنانا على يومهم وغدهم .. ومع ذلك ، فمن الذى كشف الفساد .. ؟ وفى أى الصحف نشر النقد الجاد البناء ؟ لقد احتضنت الصحف المؤممة حركات الطلاب سنة ١٩٦٨ ، ونفس هؤلاء الكتاب والصحفيون الموظفون هم الذين طالبوا بتحقيق أسباب هزيمة ١٩٦٧ .. وهم الذين كشفوا دولة المخابرات وزوار الليل ولم يخشوا شيئا ..

وفى صفحات روزاليوسف المؤممة نشرت مئات السلبيات ، ولكن من منطلق آخر غير منطلق الهدم ، وكانت هناك استجابات سريعة وفورية لكل ما أثير ، وعلى

صفحات روزاليوسف نشرت أول اشارة ضد موجة الفساد التى واكبت الانفتاح الخ .

كذلك يرى الطفيليون الحرية بمعنى أن تتركهم الدولة يستثمرون أموالهم فى مشروعات استهلاكية ولاتحد من حريتهم فى استغلال الجماهير والضحك عليها وسرقة أموالها بينما يرى الاقتصاديون أن الحرية يجب أن تستعمل فى الحد من حرية الطفيليين ، وتوجيههم الى المشروعات الانتاجية التى تعود على المجتمع بالخير ، كذلك يرى تجار العملة أن الدولة تحد من حريتهم فى السوق السوداء ، بينما ترى الدولة أن من حقها الحد من حرية هؤلاء فى تدمير الاقتصاد القومى .

من الطبيعى أن الكثيرين ينظرون الى الحرية من وجهات نظر متباعدة ومختلفة ومتناقضة فليست الحرية هى حرية الكتابة فى الصحف ، وانتاج أفلام السينما ، والكلام فى وسائل الاعلام المختلفة كما يحلو أو كما يتفق .

وليست الحرية أن أدع الذين انتزعت أراضيهم وفرضت عليهم الحراسة والذين كونوا ميلشيات مسلحة للوقوف ضد قانون الاصلاح الزراعى ، ليست الحرية أن أدعهم يعودون و ينتزعون أراضيهم بالقوة من الفلاحين .

وليست الحرية أن يجرى طرد العمال من مقاعد مجالس الادارة لأنهم «مش قد المقام» .. انما الحرية هى أن يديروا ويخططوا لزيادة الانتاج فى المجتمع ليعود عليهم بالفائدة ، فطاقة الخلق والابتكار تظهر الى حيز الوجود من خلال المشاركة فى التخطيط والتنفيذ لهذا الانتاج ، ولا يمكن تفجير هذه الطاقة بحرمان العامل من حقه الطبيعى فى المشاركة الفعالة فى عملية الانتاج بحجة أنه «عامل» وليس صاحب عمل .

فما هى الحرية التى يقصدها اذن احسان عبدالقدوس والتى يزعم أنها تتعرض للاعتداء من الناصريين .. ؟ أية حرية تلك التى يفخر الناصريون بأنهم ضدها وأنهم يحاربونها .. ؟ هل هى حرية الاستغلال ، أو حرية تقديم السلع الفاسدة كالدجاج واللحوم للجماهير حرية الاثراء غير المشروع ، حرية انشاء

العمارات التى تسقط على ساكنيها .. هذه هى الحرية التى يقف ضدها الناصريون و يعارضونها ويحاربونها .

● تخويف النظام الخائف ..!

الذين يهاجمون ثورة يوليو ليسوا اعداء لها بالولادة ، أو لأن جمال عبد الناصر هو زعيمها وقائدها ... انما لأن ثورة يوليو ضربت مصالحهم وحالت بينهم و بين تحقيق أغراضهم فى الاستغلال والتسلط .

الاقطاعيون الذين قاوموا بالسلاح قانون الاصلاح الزراعى عند تنفيذه سنة ١٩٥٢ ، وقتلوا الفلاحين قبل ذلك .. واستغلوهم مئات السنين .. لم يكونوا أشرارا ، ولا هم مصابين بمرض « قلة الأدب » أو مغرمين بالمقاومة واستعمال السلاح ضد الثورة ... أو أن سلوكهم الأخلاقى « بطّال » .. انما لأن تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى لا يتفق ومصالحهم ، لأنه يأخذ منهم الأرض والمركز والنفوذ .. ولو كانوا يستطيعون مهادنة الثورة ، وتحويل قوانينها الثورية وتجريدها من أهدافها لكانوا أبرياء ..

الجريمة والبراءة ــ اذن ــ ليسا موقفا اخلاقيا أو سلوكا « انسانيا » فقط وإنما موقف عملى يتفق ومصلحة صاحبه .

كذلك فالكذب والصدق ليسا دليلا على سوء الأخلاق أو حسنها إنما دليل على أن الكذب مفيد لدى صاحبه والصدق مفيد لصاحبه أيضاً ..

كذلك فإن الكذب يمثل نوعا من المصادرة على آراء الآخرين ، ومثال ذلك مايتردد بين الحين والحين عن « المجتمع الشمولى » أو « النظام الشمولى » والقول

بأنه قادم أو أنه فى الطريق ليدق أبوابنا بعد حين .. و يستدلون على ذلك بعودة مصر الى مجموعة عدم الانحياز، و يؤكدون ذلك بالتوازن فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وتبادل السفراء بين القاهرة وموسكو.. ثم يزدادون هلعا عندما يرون محاولات تعديل المسار الاقتصادى وتطويره كما يذكرون ــ بالنص ــ فى جريدة الوفد الصادرة صباح الخميس ١٢ يوليو.. و يلطمون الخدود لعودة اسم « ثورة يوليو واختفاء ــ ثورة مايو ــ ووجود ١٥٤ عضوا بالاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى المنحلين نوابا عن الحزب الوطنى بمجلس الشعب و بدء سيطرة الناصريين على أجهزة الاعلام .. » .

ومن المؤسف أن جريدة قومية كبرى سقطت فى الكمين وانحرفت الى الدفاع ونفت أن « النظام الشمولى » قادم .. وأن الدلائل التى تقدمها صحيفة الوفد لا تعنى عودة « النظام » الشمولى .. وقالت بصريح العبارة أن « ثورة ٢٣ يوليو التى تتمثل فى فكر الوسط (!!) لا تعنى العودة الى تجربة الستينيات فى الانغلاق الاقتصادى والتأمينات والحراسات وتوسيع قاعدة ملكية الدولة لأوجه النشاط الاقتصادى والخدمى فى مصر.. وهو تصور خاطىء تماما تنفيه سياسة اقتصادية واجتماعية مقررة ومعلنة خاض على أساسها الحزب الوطنى الانتخابات وحصل بها على أصوات الغالبية العظمى من الشعب ..» .

وهو دفاع عن تهم مختلقة لا وجود لها ، ودعوة للابتعاد تماما عن ثورة يوليو والألتزام بها .. بل محاولة إلصاق الفكر الوسطى بها ، فلا ثورة يوليو تمثل الوسط ، ولا الاجراءات المبتغاة تعنى العودة الى الستينيات ، انما ــ كما سبق القول ــ دعوة ورجاء للاستمرار فى تغيير بقايا الواقع الاجتماعى والاقتصادى المصرى ، والانقضاض على البقية الباقية من انجازات ثورة يوليو فى البناء الاقتصادى والاجتماعى، خاصة مرحلة ما بعد قرارات يوليو سنة ١٩٦١ .

وهو محاولة لتخويف النظام حتى لايمس مصالح الطفيليين ، ولا ينظف البلد من سماسرة وتجار السوق السوداء والمضاربين ووكلاء الشركات الأجنبية وملوك

العمولات والتهريب ، على حساب العامل والفلاح والتاجر الصغير والموظف الشريف والحرفى والرأسمالى المصرى المنتج .

ولا تقف محاولات تخويف النظام عند حد اتهامه بالوقوف ضد الانفتاح عندما أعلن أن الانفتاح يجب أن يكون انتاجيا انما تهدده بألا يقترب أكثر من ثورة يوليو ولايتعاطف معها وإلاّ وصموه بالنظام الشمولى الذى يعنى الشيوعية والالحاد والتأميمات والحراسات... ولا تتحرج هذه المحاولات عن الادعاء بأن ثورة يوليو تعبير عن الفكر الوسطى .. أى أنها تعبير عن ايديولوجية حزب مصر المنقرض اذا كان لهذا الحزب أيديولوجية !!

وقد أخذت الصحافة وأجهزة الاعلام تصف ثورة يوليو وفترة الستينيات بالنظام الشمولى لترضى حزب مصر وقيادته فى مرحلة السبعينيات .. واستمرت فى هذا الاتجاه حتى غدا الجميع يصدقون حكاية النظام الشمولى هذا .. بل أصبح تعبير « النظام الشمولى » من التعبيرات المستعملة فى محاضر تحقيق القضايا السياسية باعتباره تهمة .. ودعوة للشيوعية والالحاد وتغيير النظام القائم...

والواقع أن تعبير « النظام الشمولى » لا ينطبق على أى نظام للحكم لا فى مصر فى فترة الستينيات ولا فى الاتحاد السوفيتى منذ ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ حتى الآن .. ولا فى الصين أو دول أوربا الشرقية ..

والاتحاد السوفيتى لا يزعم — حتى الآن — بأنه مجتمع شيوعى انما يقرر بأنه فى طريقه للشيوعية من خلال الاشتراكية فالشيوعية تنشأ من خلال استمرار وترسيخ وتطوير الاقتصاد الاشتراكى الذى يقوم على سيادة الملكية العامة لوسائل الانتاج الأساسية ، و يقوم من جانب آخر على وجود السلطة العليا أساسا بين الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين وصغار المنتجين ..

فإذا كانت الدول الاشتراكية نفسها تقرر بأنها لم تصل بعد الى مرحلة الشيوعية فكيف بنا ندعى فى السبعينيات أن نظامنا كان فى الستينيات نظاما « شموليا » .. ؟ و بعد أن نصدق أنفسنا فيما أطلقناه .. نعود فى الثمانينيات الى القول بوجود دلائل على العودة الى النظام الشمولى الذى كان سائدا فى الستينيات .. ؟

ان النظام الذى كان سائدا فى الستينيات لا يمت للنظام الشمولى بصلة كما أنه كان على حافة النظام الاشتراكى أو مايسمى بالطريق اللا رأسمالى و يقوم على ارساء قاعدة مادية تقوم فى الأساس على الملكية العامة لأهم وسائل الانتاج ، ومن ثم ومع استمرار وجود ملكية خاصة وقطاع خاص ، نشأ قطاع عام كان مسئولا عن قيادة عملية التنمية الاقتصادية ضمانا لكفاءة استخدام القوى المنتجة ورفع مستوى معيشة الشعب العامل وعندئذ اشترط أن تكون السلطة السياسية للدولة فى أيدى تحالف يضم الطبقات والقوى الاجتماعية ، ذات المصلحة فى التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وهو تحالف لم تكن تقوده بالضرورة الطبقة العاملة بل كانت تقوده أقرب الطبقات الى الطبقة العاملة وهى البورجوازية الصغيرة ..

إن النظام الشمولى لا يرتبط بثورة يوليو ، لأن استراتيجية ثورة يوليو لم تكن الوصول للمجتمع الشيوعى .. ولا المجتمع الاشتراكى ، ولكن استراتيجية الثورة كانت تقوم على تحقيق الكفاية والعدل .. أو بتعبير أدق « منع الاستغلال » و يقتضى هذا الضرب بشدة على أيدى الطفيليين ، واغلاق فرص النهب والسلب أمام المغامرين والمهربين وتجار اللحوم الفاسدة وسماسرة العملة ..

ان كل نظام وطنى مخلص عليه أن يتصدى للصوص والمنحرفين والذين يقودون البلاد لتصبح سوقا للمنتجات الأجنبية و يغلقون ما تبقى من مصانعها لبيعها لهم بأرخص الأسعار .. ويخربون القطاع العام للاستيلاء عليه بحجة افلاسه وفشله ..

فإذا كان هذا التصدى للمنحرفين ومقاومة السلب والمغامرة هو مايعبرون عنه بالنظام الشمولى فإنهم يكونون صادقين مع أنفسهم و يقومون بلعبة خلط الأوراق مع الآخرين وهذا ما درجوا عليه منذ بدء الانقلاب على ثورة يوليو ... فما تكاد تجرى محاكمة للص أو مرتش أو مغامر أو قاتل حتى يصرخوا : « النظام الشمولى قادم .. فى الطريق الينا » .

وهو صراخ يعبر عن فزعهم ، وهلعهم حتى لا ينكشف أمرهم و يؤخذون بالنواصى والاقدام .

ثورة يوليو اذن ونظامها فى الفترة من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ لا تعنى — علميا و واقعيا — النظام الشمولى ولا توجد دولة فى العالم كله يمكن أن يطلق عليها هذا الوصف ..

ونحن نطمئنهم بأن هذا النظام ليس فى يدهم وليس فى يدنا .. ولا يملكون الوصول اليه بانضمام عدد من الناصريين الى الحزب الوطنى .. ولا بتقرير سياسة عدم الانحياز .. ولا بتبادل السفراء بين القاهرة وموسكو ... ولا بالقضاء على الطفيليين فى النشاط الاقتصادى .. أنه فى يد الجماهير التى سئمت الأكاذيب والادعاءات .. وهى جماهير تستطيع أن تقول كلمتها فى حينها .

● هل هناك خلاف .. ؟

ليس من السهل على الناصريين قبول نتيجة الانتخابات وما أسفرت عنه من فوز الحزب الوطنى بـ ٣٩٠ مقعدا والوفد بـ ٥٨ مقعدا فى مجلس الشعب الجديد ، وخروج الأحزاب الثلاثة الأخرى : التجمع والعمل والأحرار لأنهم لم يحققوا نسبة الـ ٨ ٪ من أصوات الناخبين . .

وقد يقال « ولماذا ؟ ، إن الناصريين كانوا على خلاف مع هذه الأحزاب ؟ » .

نعم ، نحن على خلاف مستمر مع التجمع والعمل وهو خلاف من موقع الصداقة والتحالف لا من موقع الكراهية والعداء .

أما موقفنا من حزب الأحرار فهو تقريبا نفس الموقف من حزب الوفد . . . لأن حزب الأحرار امتداد طبيعى لحزب الوفد . . أو كان مقدمة لوجوده . كما أنه امتداد للأجنحة المعادية للناصرية وللاشتراكية التى نمت وتضخمت فى حزب مصر ثم انتقلت بكاملها الى الحزب الوطنى خلال السبعينيات . . وحد من طمعها وجشعها القيادة الجديدة للرئيس مبارك . . . بل انه حاول أن ينهج نهجا جديدا فى تنشيط الحزب الوطنى وتنظيفه وتطهيره . . وكان من بين ما نجح فيه — فى هذا الصدد — هو جذب عدد من العناصر الناصرية الى داخله خلال معركة الانتخابات وهى العناصر التى نجحت . . وحققت أرقاما قياسية من أصوات الناخبين . .

والأمر الآخر الذى نجح فيه الرئيس مبارك — وهو بصدد تجديد الحزب الوطنى — أنه نحىّ عن القيادة والريادة عدداً من الشخصيات ذات السمعة السيئة . . وكان هذا نجاحا محدوداً فى فترة الانتخابات ، لأن بعض هذه

الشخصيات مازالت تستطيع توجيه ضربات قاتلة للحزب وللحكومة ولإرادة التغيير... و يكفى دلالة على هذا . أن هذه الشخصيات نفسها كانت الى جانب الوفد فى الانتخابات الأخيرة .

لكن هذا لايمنعنا من تحذير العناصر الناصرية التى انضمت ــ أخيرا ــ للحزب الوطنى من العمل فى اطار واحد مع هذه الشخصيات المعادية للناصرية ولثورة يوليو ولارادة التغيير .. لأن هذه الشخصيات مولعة بتلويث كل من يقترب منها ... وحتى لا يختلط الحابل بالنابل .. فإننا نأمل بناء جناح ناصرى برلمانى يكون مستعدا عندما يصدر القضاء حكمه بشرعية الحزب الناصري ..

نحن لانتصور مثلا أن يظل أحمد طه الذى يرتدى ثياب الوفد لا نتصور أن يظل هناك معهم والا فماذا يكون موقفه عندما يقدم الوفد مشروعا بقانون لالغاء نسبة الـ ٥٠ ٪ لتمثيل العمال والفلاحين فى المجالس النيابية والمحلية ؟ هل يقف مع مثل هذا المشروع ؟ لا ، ان وضعه الطبيعى والتاريخى أن يقف ضده ويحاربه .. وعندئذ لن يكون مكانه هناك .. بل مكانه هنا .. بيننا .

لايمكن أن نتصور أحمد طه أو غيره فى صف الملاك اذا ماقدم مشروع بقانون لتحديد العلاقة بين المالك والمستأجر وقد يخرج مثل هذا المشروع من هذا الحزب أو ذاك ــ لا فرق كبير ــ فكما حارب الحزب الوطنى ورجاله ثورة يوليو والناصرية كذلك حاربها الوفد .. واعترف بأنه على خلاف معها بنسبة ١٨٠ درجة .. وكان لدي رئيسه الجرأة ليزعم أنه لا توجد جريمة فى قانون العقوبات لم ترتكبها ثورة يوليو...

ان المكان الطبيعى لهذه العناصر هو حزب ناصرى ، لا يخرج بالمجان ، ولا بجرة قلم .. ومن الطبيعى أن تصحب ولادة الحزب مصاعب وآلام ..

وقد بدأت الصحف هنا والخارج تشير الى وجود خلاف بين الناصريين على القيادة ، وخلاف بين الناصريين فى الاتجاهات والاراء .. وهو خلاف وهمى

لاوجود له الا فى أذهان الحمقى والمصابين بمرض فى قلوبهم ... فلا خلاف من الآن على أية قيادة ناصرية تتقدم الصفوف .. كلنا سيكون وراء هذه القيادة .. وكلنا سوف يعمل وراء هذه القيادة... لأن الحزب عمل جماعى لايحكمه شخص القائد بقدر ماتحكمه المبادىء والأهداف التى يقوم عليها .

كذلك لايظن أحد أن الحزب الناصري سوف يترك صفوفه الأولى للورثة ، والدراويش الذين كانوا يرون فى الناصرية «أنه ليس فى الامكان أحسن مما كان» .. انما نريد أن تكون هذه الصفوف للشجعان الذين ناضلوا ، والذين مارسوا النقد والنقد الذاتى .. هؤلاء الذين مايزال فى جنبات قلوبهم وهجا لا يخبو من التطوير والتجديد والابتكار.. فما أسرع ما تتغير الناس والأشياء .. وما كان يصلح فى الخمسينيات لا يصلح فى الستينيات وهكذا .

ونحن لا نفرض أوضاعا متفق عليها سلفا إنما تقدم أفكارا قابلة للمناقشة وللتعديل وللتغيير وللالغاء أيضا ..

إن أشكال النضال تختلف من مكان الى آخر، ومن زمان الى زمان ، والقواعد العامة للثورة تختلف من بداية هذا القرن الى نهايته .. فلم يكن أحد يتصور ــ مثلا ــ أن يصل الليندى الى الحكم بالطريق النيابى .. ولم يكن أحد يتصور ــ مثلا ــ أن تعريف العامل فى انجلترا فى نهاية القرن الماضى يختلف كلية عن تعريفه فى العصر الراهن ..

اننا نرى مثلا أن موظفى الحكومة والقطاع العام وجزءا كبيرا من العاملين فى مؤسسات القطاعين العام والخاص يعانون أشد المعاناة من ضآلة الدخل فى الوقت الذي ترتفع فيه دخول الحرفيين وعمال الزراعة .. ومن هنا تتحرك القضية الاجتماعية وتأخذ أشكالا جديدة ، وتسلك مسارات جديدة .. فمن يحتضن هذه القضايا الهامة والملحة فى مجلس الشعب ؟

اننا ننتظر حكم القضاء لتقرير شرعية قيام حزب ناصري .. واسقاط آخر قيد على حرية العمل السياسى فى مصر ..

● ٣٠ عاما على الاصلاح الزراعى .. !

عرفته منذ أكثر من ثلاثين عاما . عندما كنت أكتب الشعر فى الصفحة الأدبية بجريدة الزمان المسائية . وكان هو يكتب عنودا يوميا بالصفحة الأولى .

وكان استاذا للاقتصاد فى الجامعة . وله عدة مؤلفات وترجمات هامة .. وكان كثيراً من طلاب الجامعة يلتفون حوله رغم عمله فى جريدة المساء التى يملكها ادجار جلاد باشا (أحد رجال الملك فاروق) .

فجأة . و بعد أيام من قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أصبح د . راشد البراوى (٧٥ سنة الآن) ملء السمع والبصر . يطرق بابه الضباط الأحرار .. وتحمله عربة عسكرية من بيته فى شارع قصر العينى الى مجلس قيادة الثورة بالقبة .. و يستقيل من الجامعة ليتفرغ لرئاسة مجلس ادارة البنك الصناعى . ثم يرشح نفسه لعضوية مجلس الأمة .. ثم .. ومضت الأيام ولم يعرف أحد الا القليلون جدا أنه الذى وضع قانون الاصلاح الزراعى الذى مضى عليه الآن ٣٠ عاما كاملة ..

والواقع أنه كان من المستحيل على أية ثورة أو حركة اصلاحية أن تتجاهل مشكلة الفلاحين ومايعانونه .. فقد كان حوالى ٧١,٦٪ من المزارعين لايملكون سوى ١٣٪ من مجموع الأراضى المنزرعة بينما كان ٢٠١٥ شخصا أى أقل من نصف فى المائة يملكون أكثر من ٢١٪ مجموع الأراضى الزراعية .. ولذا فقد كانت الدعوة قائمة لاعادة توزيع الملكيات الزراعية . وتعديل نظام الايجارات الزراعية . ورفع أجور العمال الزراعيين .

الآن و بعد ٣٠ سنة ... يتكلم د . راشد البراوى لأول مرة ويجيب على أسئلة ثلاثة ...

السؤال الأول : كيف صدر القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالاصلاح الزراعى وتحديد الملكية بـ ٢٠٠ فدان ؟ !

السؤال الثانى : من الذى قام بوضع القانون وصياغته ومن الذى ناقشه ووافق عليه .. ومن الذى كان ضده .. ؟

السؤال الثالث : هل كان للولايات المتحدة الأمريكية دور فى اصدار هذا القانون .. ؟

● ادعاءات :

فى اطار هذه الأسئلة الثلاثة دار حديثى مع الدكتور راشد البراوى الذى قال لى فى البداية لابد من الرد على ما أثير فى مجلتكم ــ روزاليوسف ــ من ادعاءات تتضمن اننى كنت أجلس مع السيد ابراهيم طلعت لوضع نصوص قانون الاصلاح الزراعى فى مقهى بمصر الجديدة .. فالواقع اننى لا أعرف ابراهيم طلعت .. ولم أتشرف بمعرفة حى مصر الجديدة الا منذ عدة سنوات .. كما لم أجلس فى مثل المقاهى التى وصفها السيد ابراهيم طلعت ..

● بعد الثورة بأيام اذكر أنك كتبت مقالا فى الصفحة الأولى بجريدة الزمان تطالب باصدار قانون يعيد توزيع الملكية فى مصر .. هل كان هذا المقال امتدادا لفكرة النائب القديم محمد خطاب الذى طالب بتحديد الملكية بـ ٥٠ فدانا أو فكرة ابراهيم شكرى ؟

ــ لا ، انما كنت أرى أنه لابد من النظر الى المشكلة الزراعية فى مصر ولا يمكن حل هذه المشكلة الا بإعادة النظر فى الملكية الزراعية ..

● كيف بدأ اتصالكم بالثورة ... وقانون الاصلاح الزراعى ؟ !

ــ كنت فى الاسكندرية . بالمنزل رقم ٩ بشارع مقبل بجليم فى الصيف .. وفوجئت بزيارة أحمد حمروش بالملابس العسكرية .. وقال لى : انت مطلوب للذهاب الى مجلس قيادة الثورة بالقاهرة .. قلت : هذا لا يمكن اذ لابد من استخراج تذاكر سفر .. والحجز فى الديزل مسألة صعبة .. قال : كل شىء جاهز .. وما عليك الا أن تكون مستعدا فى الصباح للسفر معى ..

لم أكن أعرف أحمد حمروش من قبل ، الا أننى وجدته فى هذه المقابلة شخصا متفهما وواعيا ومهذبا ..

وفى الصباح كنت أنتظره على باب بيتى ، وذهبنا الى المحطة .. وفوجئت بعدد آخر من الضباط معنا أذكر منهم خالد محيى الدين .. وكان معنا ــ أيضا ــ موسى صبرى رئيس تحرير الأخبار الآن وأحمد فؤاد ولابد أن موسى صبرى ظن فى الأمر شيئا فاقترب منى وهمس « ماهذا .. لماذا تسافر الى القاهرة .. وتترك المصيف .. ؟ » ..

قلت له هامسا أيضا : « فيه شوية شغل خاصة بنتائج الامتحانات .. »

وعندما توقف القطار فى محطة القاهرة وجدت على الرصيف كمال الدين حسين الذى صافحنى .. وأبلغنى أنه سيصحبنى الى مجلس قيادة الثورة .

● المقابلة الأولى مع ناصر!

● ألم تكن تعرف كمال الدين حسين من قبل .. أو أحدا آخر من مجلس قيادة الثورة .. ؟

ــ كنت أعرف كمال الدين حسين ، فقد التقيت به لأول مرة أثناء تصحيح امتحان مادة الشرق الأوسط فى كلية أركان الحرب فى بداية سنة ١٩٥٢ .. وكنت أنا الذى وضعت الأسئلة وكان هو يشترك معى فى التصحيح .. وذات يوم كنت فى كلية أركان الحرب .. وكان يجلس أمامى كمال الدين حسين .. وفى الجانب الآخر من الحجرة كان جمال عبدالناصر يعكف على تصحيح بعض أوراق امتحان ضباط أركان الحرب ..

وعندما رآنى عبدالناصر بادر بتحيتى .. ونهض من مقعده واتجه نحوى وقدم إلى سيجارة وجلس على طرف المكتب ... وأخذ يوجه الى عدة أسئلة أجبت عليها .. ثم تطرقت الأسئلة والاجابات الى الأوضاع القائمة .. وقلت : اننى أرى أن سحب الثورة تتجمع فى الآفق .. وأن احتمال سقوط المطر وشيك ..

انتبه عبدالناصر إلىّ . وركز بصره على . واعتدل فى جلسته وسألنى : ولكن ماذا يكون موقف الدول . . . وبالذات انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية من هذه الثورة . . ؟

قلت لعبدالناصر : اذا قامت الثورة ونفذت بالسرعة الكافية فإن هذا كفيل بقطع الطريق على أى تدخل أجنبى . .

ثم تطرق الحديث الى الأوضاع السياسية الداخلية بتفصيل أدق . وحوادث نادى الضباط . وتركنى ناصر أتحدث . . بينما كان لا يعلق الا تعليقات عادية جدا . . لكنه رقيق الحاشية . . مهذب .

ويستطرد د. راشد البراوى مواصلا الحديث عن وصوله الى محطة القاهرة . ورؤيته لكمال الدين حسين ينتظره ليصحبه الى مجلس قيادة الثورة بالقبة . .

وصلنا مجلس قيادة الثورة بالقبة وكانت الساعة قد وصلت الى الحادية عشرة صباحا كنا قد أصبحنا أربعة . أنا وحمروش وكمال الدين حسين وأحمد فؤاد وعلى باب مجلس قيادة الثورة وقف أمامى الحارس شاهرا السلاح وموجها الكلام لكمال الدين حسين : معتقل يا أفندم ؟! فأجابه كمال حسين : لا . افتح الباب .

دخلت مجلس قيادة الثورة وانحرفنا الى حجرة تركنا عند بابها أحمد فؤاد ودخلنا . . كان جمال عبدالناصر هناك وعندما وقع نظره علىّ قال ضاحكا : أظن لم تكن تنتظر هذا . . ؟

وأجبت : كنت أشك بأن شيئا يدبر هناك عند لقائنا بكلية أركان الحرب . . حقيقة كانت سحب الثورة تتجمع . . . ولكن من كان يدرى . . ؟!

وسألنى عبدالناصر : هيه . . ماذا يجب أن نقوم به . . قلت : لابد من اجراء إصلاح زراعي . .

وشرحت وجهة نظري له وكانت تتلخص فى وضع حد أعلي لحجم الملكية الزراعية بالنسبة للفرد . .

● ألم يشترك أحد من أعضاء المجلس في المناقشة ؟

– بالطبع دارت مناقشة حول اقتراحي ، اشترك فيها جمال وصلاح سالم وكمال الدين حسين وزكريا محيي الدين .. وقد أيدوا الفكرة جميعا ..

واستغرقت هذه المناقشة ساعتين ... بعدها ، سألني عبدالناصر: هل يمكنك وضع الخطوط العريضة لمثل هذا الاصلاح الزراعي .. ؟

أجبته : نعم ، استطيع أن أتم هذا العمل قبل المساء ..

● أين الخلاف ؟

بعد أن وعد د. راشد البراوى بوضع الخطوط العريضة لمشروع الاصلاح الزراعي قبل مساء نفس اليوم غادر مجلس قيادة الثورة ومعه أحمد فؤاد فى سيارة عسكرية الى بيته بشارع قصر العينى .. وهناك افترقا بعد أن اتفقا على اللقاء في المساء لقراءة المشروع ..

وفي الساعة التاسعة مساء طرق الباب أحمد فؤاد فأخبره د. راشد البراوى بأنه قد انتهى من اعداد المشروع .. فلم يشأ الاطلاع عليه ، واستقلا عربة حملتها الى مجلس قيادة الثورة ، وهناك عقدت جلسة على الفور نوقشت فيها مواد المشروع ، وقد انحصر الخلاف حول حجم الحيازة .. لكنهم كانوا جميعا موافقين على المبدأ .. وبعد يومين صدرت جريدة المصري تحمل نص المشروع ..

الوفد : لا

● يقال أنه في هذه الفترة عارض الوفد مشروع الاصلاح الزراعي .. كيف عارضه .. ولماذا .. ؟

اتصل بى أحمد أبو الفتح وقال لى ما رأيك في زيارة فؤاد سراج الدين باشا .. قلت : لامانع .

ذهبنا الى بيت سراج الدين وكان معي أحمد أبو الفتح ، ودارت مناقشة حول المشروع . وزادت حدة المناقشة ، وكان من رأى فؤاد سراج الدين أن هذا المشروع لا يحقق الهدف منه ، وأنه يمكن الاستغناء عنه بفرض ضريبة تصاعدية فأجبته أن الضريبة التصاعدية لن تحقق الغرض ..

● ماهو الغرض الأساسي من قانون الاصلاح الزراعي وقتئذ .. ؟

ــ لم يكن الغرض اقتصاديا انما كان غرضا اجتماعيا وهو ضرب طبقة كبار الملاك الزراعيين الذين كانوا يسيطرون على الحياة السياسية و يوجهون الأحزاب ..

● هل كان عبدالناصر يعلم بهذا اللقاء الذي تم بينك و بين فؤاد سراج الدين .. ؟

ــ طبعا .. كان يعلم وربما تم هذا اللقاء بموافقته ليعلم رأى الوفد ..

عاد د. راشد البراوى الى الاسكندرية محاولا أن يلتقط عدة أيام أخرى للاستجمام .. وما كاد يستقر فى بيته بجليم حتى هبط عليه أحمد حمروش مرة أخرى ليصحبه إلى القاهرة ..

وذهب الى القيادة معه حيث قابل جمال عبدالناصر الذى أخبره بأن يستعد غدا للذهاب الى مجلس الوزراء مع جمال سالم للدفاع عن وجهة نظره فى مشروع الاصلاح الزراعى ..

كان على ماهر يتولى رئاسة الوزارة وكان قد أدلى بعدة تصريحات ضد راشد البراوى وضد مشروع الاصلاح الزراعى لكن هذه التصريحات لم تنشر فى حينها .. انما كانت قد وصلت الى د. راشد البراوى عن طريق عدد من الصحفيين ..

المشروع ده لازم يمشى

ذهب د. راشد فى صباح اليوم التالى الى مجلس الوزراء حيث التقى فى البهو بعلى ماهر باشا، ولم يتورع رئيس الوزراء عن مهاجمة مشروع الاصلاح الزراعى وقال: انه كلام فارغ!

وبالطبع لم يبتلع د. راشد البراوى هذه الاهانة اذ ما كاد يدخل قاعة الاجتماع ويرى الوجوه الحاضرة.. وكان أصحابها هم: بهى الدين بركات باشا، رشاد مهنا، عبدالجليل العمرى، د. عبدالرزاق السنهورى باشا.. ثم أعضاء مجلس قيادة الثورة.. وكان يرأس الاجتماع اللواء محمد نجيب..

يقول د. راشد البراوى:

كان من الواضح أن عددا من الوزراء وعلى رأسهم على ماهر من المعارضين تماما للمشروع.. ولذا فقد كتبت ورقة صغيرة ودفعت بها الى جمال سالم وقلت له فيها: «يبدو أن هناك اتجاها لمعارضة المشروع..»

والتفت الى محمد نجيب وقال لى: تكلم يا دكتور راشد عن القانون..

فتكلمت عن القانون وشرحت مواده وقلت أنه سيكفل التفاف جماهير الفلاحين حول الحركة (كانت تسمى الحركة) وضربت مثلا بما حدث أيام الثورة الفرنسية.

وتدخل اللواء محمد نجيب وراح يقدم الحجة تلو الحجة لتأييد المشروع، لكن الدكتور عبدالجليل العمرى وكان وزيرا للمالية اعترض وقال: انه من الممكن الاستغناء عن القانون بتوزيع أراضى الأوقاف..

فرد د. عبدالرزاق السنهورى قائلا: أوقاف ايه ياعبدالجليل..؟ ما أنت عارف المساحة..؟

وتدخل جمال سالم الذى أعاد قراءة الورقة التى أرسلتها إليه وقال: المشروع ده لازم يمشى وح يمشى!

لم يكن جمال عبدالناصر حاضرا .. وانفض الاجتماع وذهبت الى القيادة حيث كان جمال عبدالناصر ينتظر نتائج اجتماع مجلس الوزراء .. فرو يت له ماحدث .. فلزم الصمت ولم يعقب ..

وعدت الى بيتي وعكفت على كتابة مقال نشرته جر يدة المصرى وكان المقال مؤداه أنه اذا كان على ماهر يعارض مثل هذا القانون الذى تصر عليه الحركة ... وكان المفهوم من المقال اما أن يوافق واما أن يستقيل ..

وقد ظن البعض أن هذا المقال موحى به من قيادة الثورة ..

وفى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ صدر قانون الاصلاح الزراعى كما وضعته ..

● يقال أنك كنت تعمل فى جر يدة يملكها أحد رجال الملك وهو ادجار جلاد باشا الذى كان يعتبر من الوجوه الامر يكية فى الصحافة المصر ية .. ومن خلال هذه العلاقة فقد عهد اليك بعمل مشروع الاصلاح الزراعى كقطعة لحم يلقى بها للفلاحين فيهتفون للثورة ... فى الوقت الذى يبقى فيه على المصالح الحقيقية لكبار الملاك والبرجواز ية فى الريف .. ؟

ــ هذا غير حقيقى فلم تكن لى علاقة بمشروعات أمر يكا الاصلاحية ، بل انى كنت محسوبا ضد أمر يكا ، وكان اسمى فى القائمة السوداء .. فأنا الذى ترجمت الى العربية رأس المال لكارل ماركس وكتب لينين الهامة .. والنظر يات الاشتراكية ، وأصدرت كتابا بعنوان « النظام الاشتراكى بين النظر ية والتطبيق سنة ١٩٥١ » .. وألقيت أكثر من محاضرة عن التأميم ومبرراته ، ودعوت إلى ضرورة وجود اتجاه التأميم مرافق كثيرة اقتصادية واجتماعية .. كل هذا كان قبل الثورة .. فكيف يوحى الى من أمر يكا بمشروع الاصلاح الزراعى .. ؟ !

● الآن ... بعد ٣٠ عاما من صدور أول قانون للاصلاح الزراعى .. ماذا تراه اليوم .. وهل تعتقد أنه أدى الغرض الذى استهدفته .. ؟

ــ المشروع كان سليما ومحققا للأغراض التى استهدفت هو والقوانين الأخرى الملحقة به .. لكن عوامل أخرى كثيرة تدخلت فى التطبيق .. فأفرغته من ثور يته ..

● زملاء عبدالناصر .. !

بقدر ما كان عبد الناصر صلبا وقويا فى دفاعه عن الفقراء ووقوفه الى جانبهم ، وقاسيا ـ الى حد البطش مع الطبقات المستغلة التى تستنزف قوت الجماهير وعرقهم وكدهم .. ، بقدر ما كان ضعيفا أمام أصدقائه ، متراخيا معهم ، ووفيا لهم .. وتلك أسوأ فضائله التى أورثته وأورثت النظام الناصرى أبشع ألوان الخطايا ..

برغم ما أنجزه هذا النظام للجماهير من تحقيق لمجتمع الكفاية والعدل والغاء الفوارق بين الطبقات ، واتاحة فرص متكافئة لأفراد الشعب فى التعليم والعمل والعلاج والاسكان والتأمين الاجتماعى فى حالات الشيخوخة والعجز والبطالة .. الخ .

ظلت هذه الفضيلة ، فضيلة الضعف والوفاء والتراخى مع الزملاء والأصدقاء تسيطر على علاقات عبد الناصر مع الذين ظلوا من حوله .. ظنا منه ـ وهو ظن خاطىء ـ أن أحدا من هؤلاء الأصدقاء والزملاء لن يتحول فى يوم ما الى «بروتس» و يستل خنجره و يغمده فى ظهر « القيصر» ..

وامتد الظن الخاطىء الى الوقوع فى وهم الاخلاص للعناصر المشكوك فيها والاغداق عليهم لاجتثاث الشر والسوء من نفوسهم .. غير مقدر أو مدرك أن السوء قد استحكم ، والشر قد تمكن منهم حتى النخاع ..

ولا يشك أحد ـ حتى الآن ـ أن القوى الخارجية التى تآمرت على عبد الناصر وعلى ثورة يوليو ـ من قبل ومن بعد ـ قد استفادت من هذه العناصر .. التى قامت بدور « حصان طرواده » تحت ستار كاذب هو أنهم عناصر ثورة يوليو ورجالها البواسل !

لم يكن هذا الاتجاه من زملاء عبدالناصر ناتجا أو ناشئا — فقط — عن مرض فى نفوسهم ، أو جرثومة تمكنت من عقولهم فأفسدتها ، وانما لأن القوى الخارجية زينت لهم أن النضال قد ثبت فشله ، وأن الفقر حليف للاشتراكية .. وان المجتمع المفتوح والاقتصاد الحر كفيل بأن يشبع شهواتهم ، و يطفىء ظمأهم بأنهار من الشمبانيا .. والمرسيدس والفولفو والعمارات وليالى ألف ليلة وليلة .. لتحقيق ذلك وعليهم أن ينقلبوا على مجتمعهم .. ويعصفوا به ..

ولم يكن هناك علاج لهذه الحالة ..

وكتاب ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا فى عهد عبدالناصر وأحد تسعة رجال كانوا فى موقع قيادة العمل الوطنى للبلاد .. عنوانه « سنوات مع عبدالناصر» .. الذى يقرؤه يشعر بأن عبدالناصر كان يعمل وحده .. وأن أعضاء مجلس قيادة الثورة — ثورة يوليو — كانوا يعيشون فى واد وهو — وحده — يعيش فى واد آخر .. وكانوا يصابون بالذعر عندما يلتقى بالجماهير التى كانت تدرك بحسها وعقلها أنه منهم .. يتكلم لغتهم .. و يشعر بأوجاعهم وهمومهم ..

والواقع أن عبدالناصر لم يكن ضد أفراد معينين أو محددين بالاسم رغم ماكانوا يقومون به ضد الجماهير من بطش وطغيان مثل العائلات الاقطاعية التى رفعت السلاح لمناهضة توزيع الأرض على الفلاحين ، وأصحاب رؤوس الأموال ورؤساء الشركات الذين كانوا يأكلون حقوق العمال مثل شركات الأتوبيس وشركات الغزل .. وغيرها ..

و يورد ضياء داود فقرات من خطاب عبدالناصر فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الأمة عام ١٩٦٤ .. يقول عبدالناصر:

« لم يكن هناك عداء ضد فرد أو ضد أسرة وانى لأقول أمامكم — صادقا — اننى وقفت طو يلا بالتردد أمام القرار بفرض الحراسة على عدد من الأفراد من هذه الطبقة التى مكنتها ظروف عديدة من احتكار الغنى على حساب جماهير الشعب ، كنت أدرك أنهم بشر بجانب كونهم طبقة ، ولقد كان هدفى أن أصفى الطبقة ولكن أن يبقى لكل فرد من أفرادها كرامة المواطن وحقه فى الحياة طالما التزم بواجب المواطن ، ولقد حاولت قدر المستطاع تخفيف أثر التغيير عليهم لكننى أرى —

بحق ــ أن شريعة العدل لابد أن تأخذ طريقها ولست أريد أن أقدم الأرقام فى تبيان ماكان الحال عليه ولكننى لا أتصور ولا أظن أحدا يتصور معى أن المجتمع الذى نعيش فيه كان يمكن أن يتحمل وجود مائة أسرة مصرية وأجنبية .. وصل ماتملكه وما استرد منها بالتأميم والحراسة والاصلاح الزراعى الى ما قيمته ــ بغير مبالغة ــ ١٠٠٠ مليون جنيه » .

ثم حدد عبد الناصر ملاحظتين أولاهما : أن نرى بالتسامح أننا لم نكن ضد الأفراد وانما كنا ضد الامتياز الطبقى و بالتالى فإن صفحة جديدة يجب أن تفتح أمام الجميع بغير تمييز، والثانية : أنه ينبغى علينا ــ مهما كان الثمن ــ ألاّ نسمح بظهور طبقة جديدة تظن أن الامتيازات أرث لها بعد الطبقة القديمة .. وعلينا أن نقاوم هذا الانحراف ونقوضه ونثور عليه اذا اقتضى الأمر..

و يذكر ضياء داود فى الفصل الذى يضع له عنوانا : « ثورة عبدالناصر وحده » أنه آثر أن ينقل فقرات كثيرة من ذلك الخطاب الذى كان يثير فى خاطره ما كان يكابده عبدالناصر من معاناة وصراع مع بعض قوى الحكم التى كانت تشاركه وتمثل اتجاهات اجتماعية بعيدة كل البعد عما كان يعتقده وعما يحقق آمال الجماهير.. ولديهم مع ذلك تصورات قاصرة .

وقد كشفت الأيام ــ كما يقول ضياء داود ــ أن عبدالناصر كان وحده هو صاحب الفكر التقدمى والاجتماعى والانحياز للفقراء والكادحين .. وصاحب الاصرار على الخطوات الاجتماعية التى تمت وصاحب التصور الواضح لاقامة المستقبل ، والذى يصر و يناضل من أجل تحقيق آمال الجماهير و بناء المجتمع الاشتراكى ..

من ثم فإن الثورة الاجتماعية هى بحق ثورة عبدالناصر وحده التى قادها تعبيرا عن آمال الشعب وطموحه واستجابة لمطالبه وارادته...

ومن الغريب ــ كما يقول ضياء داود ــ أن البعض هاجم عبدالناصر من هذه الزاوية وتفاخروا ــ بعد موته ــ بذلك ، بل أن السادات أعلن أنه لو تولى الحكم من سنة ١٩٦١ لما فعل غير مافعله بعد سنة ١٩٧١ ، وقال السادات أن

عبدالناصر أخفى عنه قرار تأميم قناة السويس ــ طبعا لسبب معروف ، وأنه ــ أى السادات ــ قال لعبدالناصر بعد ذلك : حسنا فعلت لأنى كنت سأعارض التأميم !

و يتفق ضياء داود مع وجهة النظر التى أشرنا اليها بأن القوى الخارجية استفادت الى حد كبير من زملاء عبدالناصر فى الانقضاض على ثورة يوليو و يقول ضياء داود فى هذا أن بعضهم بلغ به حد الاسراف على أنفسهم أن ظنوا أنهم باعتبارهم اعضاء فى مجلس قيادة الثورة أو شاركوا فى الاعداد لقيامها يملكون الحق فى الانقلاب عليها وهدمها والانضمام الى فلول الرجعية والانتهازية !

والواقع أن بعض هؤلاء الزملاء قد هيأوا كل الظروف، وقاموا بكل مايستطيعونه من نشاط شمل النشر وكتابة المذكرات والتاريخ الملفق والاجراءات التنفيذية والتشريعية للاسراع بالارتداد بالثورة وتشويه ماحققته من انجازات !

و يقول ضياء داود أن مايغيب على كثير من الناس بحسن نية أو بسوء نية هو التفرقة بين جوهر الرخاء ومظهر الرخاء .. فما كان فى عهد عبدالناصر هو جوهر الرخاء وما جاء بعد ذلك هو مظهر الرخاء .. لقد كان عبدالناصر يولى هذه القضية اهتماما متزايدا وكان يسأل : الانتاج لمن ؟ هل هو للشعب العامل ؟ أم لقلة من أصحاب رؤوس الأموال ؟ !

و يكشف ضياء داود ــ فى كتابه ــ بالاسماء والمقارنات عن كيفية الانقضاض على الثورة... وكيف كان خطأ عبدالناصر وضعفه أمام هذه العناصر التى استفادت من اسمه واخلاصه ووفائه وتضخمت وكبرت وأصبح لها أنياب وأظافر استعملتها أول ما استعملتها فى نهش جسد الزعيم العظيم !

واذا كان ضياء داود قد تحرج من ذكر أسماء بعينها فما لاشك فيه اننا مازلنا نذكر ان اول من فتح النار على عبدالناصر .. هم الزملاء .. وكانت باكورة أعمالهم سلسلة من الكتب بدات بكتاب « الصامتون يتكلمون » حيث ذكر عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم ــ وسط مناخ ضبابى

سعد سلفا ــ أن أزمة مارس انتهت بانتصار عبدالناصر لشرائه ثمن التأييد من الصاوى أحمد صاوى رئيس اتحادات العمال بخمسة آلاف جنيه ! وان وحدة مصر وسور يا كانت اكذوبة وحرب اليمن كانت مصيدة .. وان عبد الناصر كان ديكتاتورا .. و.. الخ .. لم يكن هذا الكلام صادرا من اعداء عبدالناصر الطبيعيين .. انما من زملاء عبد الناصر أعضاء مجلس قيادة الثورة ولذا فان ضياء داود كان صادقا تماما عندما ذكر ان ثورة يوليو كانت ثورة عبدالناصر وحده .. وانه وحده الذى كان يدرك و يفهم .. و يتقدم بابعادها الاجتماعية استجابة للجماهير التى وثقت به ..

● الدين والاشتراكية

و يتوقف ضياء داود طو يلا عند الفصل الخاص بالدين والاشتراكية اثر الهجمة التى أحرقت الاخضر واليابس بعد وفاة عبدالناصر وقيل فيها أن الاشتراكية التى جاء بها كانت إشتراكية ملحدة وكافرة .. و يتحدث ضياء . عن « الدين والعقل والمعرفة » .. يقول : ان الدين الاسلامى بحث عن المعرفة وإعمال العقل .. وكنت أشاهد واقع المجتمع ومافيه من مظالم اجتماعية وكان كثير من القيم الخاطئة ترسخ تحت شعارات وتفسيرات تتخذ من الدين سندا لها ظلما واعتسافا ، فالتفاوت الطبقى امر مشروع وقدر مقسوم والسخط عليه أو التبرم به امر منهى عنه فهو حقد مذموم ومؤثم وضجر من قدر الله .. والرضا مطلوب فاذا كان الانسان قد فاته حظه فى الدنيا فالاجر والنعيم مدخر له فى الاخرة ، والاستكانة والرضا بكل مايصدر عن الحاكم امتثال لامر الله بطاعة الله ورسوله واولى الامر ومن ثم فمقاومته ظلم عظيم ، وكل ذلك افتراء على الدين ، اذ مقاومة الظلم الاجتماعى ورفض الواقع الاليم ومحاولة تغييره ــ ايا كان مصدره والتصدى للظالمين ــ امور من صميم واجبات المؤمنين بل لا يكتمل الايمان الا بها ، فالاسلام لايقبل المسلم الضعيف والمستضعف ولايقبل المسلم المستسلم والسلبى « الإمعة » ولايرضى للمسلم الاستكانة للظلم حتى لو كان مصدره الحاكم .. » .

و يضرب ضياء داود عدة أمثلة يجيء بها من صدر الاسلام للتدليل على أن الدين الاسلامى ينشد العدل والمساواة بين البشر و يناهض التفاوت الطبقى .

فالخليفة عمر بن الخطاب يقول : «صلاح المال فى ثلاثة : أن يؤخذ من حق و يعطى فى حق ويمنع من باطل» .. وكان اذا ثبت على الوالى شبهة التصرف فى بيت مال المسلمين .. كان الخليفة عمر يصادر المال الذى ظفر به أو يقاسم الوالى فيما زاد على كسبه المعقول فيترك له النصف و يضم النصف الاخر الى بيت المال وهذا عدا ما يجز يه من عزل وعقاب .

و يعتبر ضياء داود هذا مدخلا لدفع التهمة اللاصقة بالاشتراكية والاشتراكيين وهى الالحاد والعداء للدين .. يقول : ان عبدالناصر كان يقول عن نفسه أنه يسارى ومتطرف ومع ذلك ففى عهده بنى من المساجد اضعاف مابنى فى مائة سنة سابقة عليه وانشئت اذاعة القرآن الكريم .. وطبعت و وزعت مئات كتب الدين والتراث الاسلامى والمصاحف التى انتشرت فى جميع انحاء العالم وطبع المصحف المرتل وطور الازهر وتولى الامامة والخطابة مئات من الائمة والوعاظ المؤهلين واستقبل الازهر والجامعات مئات من الشباب المسلم فى افريقيا واسيا واقيمت لهم مدينة البعوث كما أرسل المئات من الدعاة المسلمين الى افريقيا وآسيا وغيرها .

● التنظيم الطليعى

و يناقش ضياء داود التنظيم الطليعى وفكرته ، ولماذا اراد عبدالناصر أن يقيم هذا التنظيم فى السر وليس فى العلن .. ، و يقول ان الهدف المحدد لعبدالناصر من هذا التنظيم كان بناء كوادر اشتراكية لقيادة الاتحاد الاشتراكى .

و يقول ضياء : ان الاتحاد الاشتراكى كان تنظيما جماهير يا واسعا يضم عددا كبيرا من العناصر والفئات المختلفة بكل تناقضاتها مما يؤثر على قدرته على الحركة وحشد الجماهير وقياداتها ، وكما قال عبدالناصر أن « الكثيرون ممن يتقدمون اليه يمكن للواحد منهم أن ينقلب ضد الثورة بين يوم وليلة » .

و يعلن ضياء : لقد صح ماقال وماتوقع بعد مايوسنة ١٩٧١ .. ومن كثيرين ممن كانوا أصحاب صوت عال دعوة ودفاعا حماسيا عن الاشتراكية وعن نظام عبدالناصر ومن كانوا فى صدارة وقيادة الاتحاد الاشتراكى وتنظيمه الطليعى .

ومايقوله ضياء داود .. صحيح مائة فى المائة ، فقد كان ممدوح سالم وفؤاد محيى الدين أمناء للتنظيم الطليعى ، وكان سيد مرعى وعزيز صدقى وعبدالعزيز حجازى وحافظ غانم والنبوى اسماعيل وكثيرون ممن تولوا السلطة بعد مايوسنة ١٩٧١ .. أعضاء قياديين فى التنظيم الطليعى وبعضهم قاد بعض تنظيماته ولجانه وكانت لجنة التنظيم الطليعى بمجلس الامة .. تضم سيد مرعى ، شعراوى جمعة ، خالد محيى الدين ، حمدى عبيد ، كمال الحناوى .. واحمد فهيم ، أحمد شهيب ، ابراهيم شكرى ، نزيه أمين ، أحمد فؤاد .. ضياء داود .. :

والفصول الاخيرة من الكتاب .. تتضمن اسرارا هامة عن « مطبخ » القوانين فى مجلس الامة .. وكيف كان يدار .. وكيف كانت تصدر القوانين .. !

والواقع أن امتياز كتاب ضياء الدين داود ليس فى كشف تلك الاسرار ، ولا فى النظرة الموضوعية للعلاقة بين الدين والاشتراكية .. وانما امتيازه الاكثر أثارة فى المقارنات المذهلة التى يعقدها ضياء داود و يدعها بدون تعليق بين اقوال بعض النواب فى عهد عبدالناصر .. واقوالهم الاخرى بعد ١٥ مايو ..

واضرب لذلك مثلا بالعضو علوى حافظ الذى استشاط غضبا من حادثة « كمشيش » فطالب بأن « نقوم بحركة ثورية ويجب أن تجرى تصفية جذرية وشاملة لكل جيوش الاقطاع واننى مغتبط كل الاغتباط بقرار تشكيل لجنة خاصة لتصفية جيوش الاقطاع فى الريف .. » ثم اقترح عدة توصيات منها الغاء نظام المزارعة والمشاركة وعزل الاقطاعيين وعملائهم عن الريف .. وتجميعهم فى معسكرات للعمل لينتقلوا من مجتمع العاطلين بالوارثة الى مجتمع العمل ..

ولم يعلق ضياء داود و يقول ــ مثلا ــ : أين الآن علوى حافظ من كل هذا .. ؟

والوقفة الاخيرة بعد قراءة هذا الكتاب تضع يدنا على سؤال هام : أين زملاء عبدالناصر ورفاقه الحقيقيون الان .. ؟

أين هؤلاء الذين ساروا معه ، وتقدموا معه على الشوك والحصى .. وسقطوا وارتفعوا .. واعتقلوا واضطهدوا .. هؤلاء الذين مازالوا يظنون أن الجماهير الناصرية ـ وهى غفيرة ـ سوف تتقدم اليهم لتحملهم وتضعهم على مقاعدهم .. ، أن الجماهير لا تنتظر .. انها تنظر اليهم ، والى من بقى منهم على العهد بين الحب والاخلاص والوفاء .. لكنها ـ أى الجماهير ـ تعيد صياغة نظريتها الجديدة واضعة نصب عينيها الميثاق الوطنى و بيان مارس ومواثيق ثورة يوليو الاساسية .. ومن هذا الكم الهائل من التجربة والخطأ سوف تبلور الجماهير نظريتها وتفتح طريقها نحو المستقبل الجديد .

● الأكسـودوس ..

لم أعرف أستاذا جليلا يستعمل تعبيرات من التوراة ــ العهد القديم ــ بغزارة كالدكتور حسين مؤنس الذى يمتعنا كل أسبوع على صفحات الزميلة «أكتوبر» بالكثير من منجزاته فى هذا الشأن ، فهو يستعمل كلمة الخروج أو «الاكسودوس» ، والمراد به الخروج من مصر ، وهو مصطلح من العهد القديم ، واكسودوس بنى إسرائيل كان فى عهد موسى ، أما اكسودوس المصريين فكان فى عصر عبد الناصر !

وتفسير الأكسودوس فى عصر عبد الناصر لدى د . مؤنس كالآتى : «ان جمال عبد الناصر جعل المصريين جميعا غرباء فى وطنهم .. أى أنه نفاهم داخل بلادهم . واذا كان الروس ينفون المغضوب عليهم إلى سيبريا ، فإن جمال عبد الناصر جعل مصر كلها سيبريا ، فكانوا فى عصره السعيد منفيين فى أرضهم

ومحرما عليهم ذكر وطنهم مصر .. والذين تمسكوا منا بأن يذكروا مصر ادخلوا السجون أو تم التخلص منهم بصورة أو بأخرى .. » .

ويذكر د . مؤنس أنه عندما كان فى مدريد بلغه أن مظاهرات قامت فى مصر ، وأن السفير المصرى فى أسبانيا نظر فى دهشة وقال : «أحنا مش كنا بطلناهم حكاية تحيا مصر دى ؟ ايه اللى جرى ؟ اتجننوا تانى ؟ » .

والواقع أن هذا الاصطلاح العبرى وهو الاكسودوس ، الذى يريد د . مؤنس أن يعيده و يشيع استعماله كان قد اضمحل فى عهد الزعيم جمال عبدالناصر ، وقبل يوليو كان شائعا ، فقد كانت أغلب المتاجر والمصانع يملكها أجانب ويهود وكانوا يستخدمون هذا الاصطلاح عندما يريدون طرد عامل مصرى .. فيقولون له : « اكسوبره » أى أخرج بره ، وكان العامل يخرج من العمل ، ولم تكن هناك حينئذ حماية ما لحقوقه وأوضاعه الاجتماعية . كانت كلمة « اكسو » معناها الحر فى « الفصل التعسفى من العمل » .. وهذا ماقاومته ثورة يوليو فأصدرت قانونا بمنع فصل العامل ، وأنشأت نظام التأمينات الاجتماعية لحمايته من الفصل والبطالة ، وعلاجه على نفقة الدولة ، وقررت له معاشا .

ولكى تقطع الثورة خط الرجعة على هواة فصل العمال المصريين فى الشركات الأجنبية أو الشركات التى كان يملكها الأجانب أو يملكون نسبة كبيرة من رأس مالها أصدرت قانونا هاما يجيز للعامل الذى يفصل الطعن فى قرار فصله أمام محكمة خاصة تقدم لها القضية بدون رسوم قضائية تيسيرا وتبسيطا على العمال .. ونص القانون بأن يصدر الحكم بصفة مستعجلة بحيث لا يزيد على أسبوعين .

فهل هذا القانون وغيره هو الذى دفع العمال المصريين إلى الخارج أو النفى الاختيارى أو الاجبارى داخل بلادهم فى عصر عبدالناصر ؟ .. فإذا كان الرد بالايجاب فكيف يستقيم هذا مع مايقوله د . مؤنس نفسه فى فقرة تالية : « لأن عبدالناصر وأهل ثقته أفهموا العمال أنهم يستحقون الأجور والرواتب والعلاوات والمكافآت سواء عملوا أو لم يعملوا ، انتجوا أن لم ينتجوا .. » .

وإذن فقانون الاكسودوس لم يطبق على العمال لأن العمال كما يذكر د . مؤنس ــ إذا كان مايذكره صحيحا ــ كانوا طبقة ممتازة تأخذ دون أن تعطى ، وإذن فلابد أن النفى أو الخروج طبق على فئة أو فئات أخرى .. فما هى هذه الفئات ؟

لقد كان من حق الأسرة أن تملك ٢٠٠ فدان عدا العقارات والمصانع والورش والمتاجر .. وكان من حق أى وطنى أن يحصل على دخل سنوى مابين

٥أو ١٠ آلاف جنيه وبمقياس هذا الزمان ٥٠ و١٠٠ ألف جنيه .. فهل كان هذا حكما بالنفى واكسودوس ؟!

لقد كان متوسط دخل الفرد ٣٠٠ جنيه سنويا — أى أن متوسط هذا الدخل يقل بحوالى ٢٠ مرة عن الحد الأعلى للدخل السنوى .. فهل كان يود أن تصبح النسبة ١ : ١٠٠ كما هو واقع الآن .. فى هذا العصر الذى سقطت فيه أقنعة الناصرية ؟

ولأن د . حسين مؤنس لم يكن قريبا من السلطة والسلطات ، إنما — للحق — كان رجل علم ، وان كان يفتقر الى بديهيات العلم : الموضوعية ، — عاش حياته — فى مدريد ، وأدرك عصر عبدالناصر أهمية أن يكون هناك فى هذا الموقع .. فهو هناك أهم من وزير هنا ، هناك حيث الأندلس والمجد الغارب ، أهمية أن يكون هناك على رأس المعهد الاسلامى رجل علم لانزاع فى كفاءته ومقدرته وتخصصه — الذى أفسده بحقده على ثورة يوليو — فأبقت عليه وزودته بكل مايريد ، واستجابت لمطالبه التى لانهاية لها .. فهل كان وجوده هناك فى مدريد اكسودوس ناصرى موجه ضده ؟

يذكر د . مؤنس أن من هتف باسم مصر كان يسجن وقد سمع بذلك عندما كان فى مدريد .. أتلك موضوعية الأساتذة ؟ ، وأين كان هو؟ .. هل هتف بمصر وسجن ؟ .

ان ثورة أستاذنا الفاضل د. حسين مؤنس لاتخف حدتها على عبدالناصر لأنه حقق معجزة السد العالى بحجة أن عبدالناصر لجأ إلى أهل الثقة بدلاً من أهل الخبرة .. لأن عبدالناصر لم يعد يثق إلا فيهم — أى أهل الثقة — وعلى أيديهم تحولت طائفة من أعظم مشروعات الثورة الى كوارث .. وضمن هذه الكوارث كارثة السد العالى طبعا !

وكما يقول د . مؤنس العالم الجليل المحقق الدارس الفاهم : «السد العالى مثلا كان من جلائل مشروعات الثورة ، ولو أن جمال عبدالناصر استمع قبل انشائه الى أهل الخبرة من المهندسين والمتخصصين من المصريين لعاد هذا المشروع بأضعاف مايعود به على مصر والمصريين اليوم ، ولكن أهل الخبرة أبعدوا تماما عن المشروع ! .

أى أن السد العالى — أيضا — كارثة ، وأنه كان يمكن الا يكون كارثة اذا استمع عبدالناصر لرأى الخبراء المصريين .. والعكس صحيح تماما يا دكتور .. و بالوثائق .. و بالحقيقة و بالواقع ، فالكارثة الحقيقية كانت سوف تقع اذا لم يكن عبد الناصر أنشأ السد العالى ، لأن السد العالى — كما يقول أحدث وزير رى فى مصر مازال على كرسيه للآن ، وهو المهندس المتخصص عصام راضى .. انقذنا من كوارث الجفاف الذى حل ببلاد أفريقيا كلها ، و يقول المهندس عصام راضى :

« حمدا لله الذى هدانا لبناء السد العالى فى الوقت المناسب » .

أما المهندس زكى قناوى وزير الرى الأسبق — فى عهد عبدالناصر — فيقرر بأن أصحاب فكرة اقامة سد أعلى من خزان ، هى فكرة مصرية ١٠٠٪ وأصحابها من المهندسين المصريين .. وأن عبدالناصر عندما استمع الى هذه الفكرة واقتنع بها .. كانت فكرة مصرية .. وظلت فكرة مصرية وعملا مصريا وانجازا مصريا ولايعنى أنها نفذت بالاشتراك مع الخبرة الأجنبية والخبرة السوفيتية بالذات ، انها فكرة فاشلة .. أو أنها ملحدة أو أنها سوفيتية .. لأن السلاح السوفيتى عندما يعمل به المصرى و يدافع به ويحمى بلاده و ينتصر بواسطته يصبح سلاحا مصريا ١٠٠٪ .. وعلى الرغم من مصرية هذا المشروع العظيم فقد درسه خبراء من الغرب وتحمسوا له .. ودرسه علماء وخبراء من الشرق وتحمسوا له .. ولكنه لم يصبح كارثة أو مصيبة الا عندما حققه عبدالناصر بمعاونة السوفيت .. فهل اذا جاء الخير على يد عبدالناصر حرام .. واذا جاء على يد الاخرين يصبح حلالا ؟

ولمصلحة من يهيل د . مؤنس التراب على أعظم مشروعاتنا لأنها قامت ونفذت فى عصر عبدالناصر ؟ .. إن أى مشروع ناجح يخدم بلادنا هو مشروع مصرى وقومى سواء قام به زيد أو عبيد .. لا ان نهدمه ونهيل التراب على صانعيه .

لكن د . مؤنس يتباكى على رجل ايطالى يدعى سورناجا كان قد أنشا ورشة أو شركة صغيرة لصناعة الخزف والفخار فى الصف بالجيزة ، كان هذا الايطالى « ! ! » العظيم يعمل بجد ونشاط الى أن وقعت كارثة التمصير والتأميم .

ويستمر الموال الباكى على العبقرى سورناجا .. وكيف أن التأميم قد أهدر هذا العمل العظيم وقتل المهارات المصرية التى علمها ودربها هذا المعلم الأوروبى ، ومن أمثلة هذه المهارات الأسطى زكريا الذى خرج من شركة هذا الايطالى ــ بعد التأميم طبعا ــ « ثم افتتح فى مركز الصف ورشة لاصلاح ما فسد .. وكان يتقاضى ١٢٫٠ جنيها فى الشهر فأصبح يتقاضى من نفس الشركة مابين ٨٠٠ و ١٠٠٠ جنيه شهريا والماكينات فى خراب مستمر .. والخسائر تتوالى والخيبة بلا حدود » .

ــ لماذا يا دكتور ؟

يجيب الدكتور مؤنس الموضوعى جدا .. ان هذا بسبب انعدام الخبرة الفنية .. لأن عبد الناصر قضى على الخبرة .. فقد جمع الحرفيين والمهنيين ووضعهم فى قفة وألقى بهم فى البحر !

ويقرر د . مؤنس : « أن غالبية السباكين اليوم كانوا بالأمس يصلحون بوابير الجاز ، وأبناء المعلمين والاسطوات هجروا الصنعة ودخلوا المدارس والجامعات وتخرجوا مهندسين ومدرسين ومحامين أو محاسبين من نوع رديء فى الغالب ، وقد خسروا بذلك خسارة كبرى .. لأنهم لو ساروا فى آثار آبائهم وورثوا حرفهم وورشهم .. لكان حال الحرفيين أحسن بكثير .

ولا تعليق من جانبى .. فيكفى ما فى هذه الفقرة من دلالات ومعان من أستاذ كان يعلم الجيل ومازلت أحترمه وأقدره مثل المئات من أمثالى الذين لم يفقدوا الأمل يوما ما فى أن يعود هؤلاء الذين يحركهم الهوى والغرض الى جادة الصواب .

● متى تحين ساعة ميلاد الحزب ؟!

عندما يصدر القضاء كلمة فى قضية الحزب الناصرى فإنه لا يصدره من فراغ .

حقا أن للقضاء حكمه وقراره واحترامه ولكنه لا ينشئ حقا ، ولا يبعث ميتا ، ولا يعطى شهادة بوجود كائن من العدم .

والقضاة بشر ، يصيبون ويخطئون ، وهم فى سبيل الوصول الى الحقيقة يعانون .. يبحثون ، يدرسون ، يواجهون أنفسهم .. يصارعونها ، يتجردون من الهوى والغرض ، ينأون عن الاغراء والغواية .. ورغم كل هذا فقد يصلون الى الحقيقة وقد لا يصلون ، اما لعجز الأدلة والمستندات .. أو لأن الدفاع قاصر عن توضيح جوانب القضية .. أو لأن «ظروف» أخرى ألقت ظلالا من الشك والريبة حول الحقيقة .. ومن هنا كان هناك قضاء لأول درجة ثم الاستئناف ، ثم النقض ، وذلك لإتاحة الفرص المتعددة والعدالة المطلقة لظهور الحقيقة .. وأيضا فى هذه المراحل المتعددة قد يخطىء القاضى وقد يصيب ، لأن القاضى بشر .

فالحكم بأحقية الناصريين فى انشاء حزب ناصرى اذا صدر بالقبول أو الرفض لا يغير من الأمر شيئا ، لأن للناصريين وجود كالماء والهواء .

الناصريون لهم وجود فى المجتمع ، فى آماله وفى تطلعه الى المستقبل .. فى تشوقه الى ديمقراطية سليمة غير مزيفة ، ديمقراطية كل الشعب لا ديمقراطية طبقة ولا فئة بعينها .

الناصريون منتشرون ، صامدون ، لا ينال منهم ولا يؤثر فيهم ما ينفثه الحقد وما يحركه الخوف من ظهورهم على المسرح ، وما يثيره الذعر من امكانية اعادة النظر فى كل ما وقع من اعتداء على الحقوق المكتسبة للجماهير فى السبعينيات وما تلاها .

وقد جرت محاولات كثيرة خلال عام ١٩٨٤ لجذبهم الى صفوف الأحزاب الأخرى .. لا لإرضائهم ، أو لرشوتهم فقط انما لاذابتهم فى الكيانات الحزبية الهلامية التى لا تعرف لها رأساً من ذنب ، باستثناء حزب أو حزبين ، على الأكثر ، وحتى هذين الحزبين فإن أمراض العصر قد تفشت فيهما كالنفاق .. والانحناء والتخلى عن المبادىء ، واللهث وراء الأسماء واحتكار العمل السياسى ، وعبادة الذات ، والشللية والاسترزاق .. والفردية والانغلاق خوفا من الجماهير التى يدعون تمثيلها !

الناصريون اذن لم يكونوا بعيدين عن الساحة ولا عن الانتخابات التى جرت ، لقد كان كل حزب يدعى انه ناصرى مائة فى المائة حتى الوفد الذى كنا نحتفل به .. ونعمل على قبوله على المسرح باعتباره يمثل تراثا شعبيا الوفد الذى ما ان وقف على قدميه حتى انهال بأحقاده ورغبته الانتقامية على ناصر والناصرية .. حتى هذا الحزب أعلن أكثر من مرة على لسان زعيمه أنه لا يختلف مع ثورة يوليو وانه مع انجازاتها السياسية والاقتصادية ، وتورط أكثر ليثبت ما يقوله فى الأذهان ففتح ذراعيه لاحتضان عناصر ناصرية كثيرة .

كذلك وجد الحزب الكبير ، الحزب الوطنى نفسه فى حاجة الى مساندة الناصريين وتأييدهم ، فى حاجة الى استخدام أسمائهم وشعاراتهم ومبادئهم .. فى حاجة الى أن يردد نشيدهم .. فإنه النشيد الذى يردده الملايين من المحيط الى الخليج ، ودخل الحزب الوطنى عناصر كثيرة ناصرية استطاعت أن تنتزع أصواتا كثيرة لصالح الحزب الوطنى .

وكل حزب من الأحزاب القائمة عندما كان يضع برنامجا كان ينظر الى الناصرية ، ينقل بصره بين هذا النص و بين هذا المبدأ ، الى أى حد يتفق وإلى أى

حد يختلف .. وكان يحاول أن يغلف جوانب الاختلاف بثياب فضفاضة بحيث يفلت فى التخلص منها و يسرع نحو جوانب الا تفاق مع الناصر ية .

المعيار والمقياس والميزان فى كل برامج الأحزاب كان الناصر ية .. والمبادىء الناصر ية .

لا جدال فى أن الناصر ية كاتجاه تختلف عن الحكم الناصرى .. ان سلبيات الحكم الناصرى وان كانت تلقى على الناصر ية كاتجاه ظلالا كثيفة .. الا ان كل متبصر يستطيع بسهولة أن يفرق بين الناصر ية و بين الحكم الناصرى كما يستطيع المسلم أن يفرق بسهولة بين جوهر الاسلام وبين النظم التى تدعى انها نظم اسلامية .

وكما لا يمكن انكار الانجازات الناصرية كذلك لايمكن انكار انجازات الأحزاب القائمة بما أوجدته من حيو ية ونشاط فى الحياة السياسية .. وهذه الحيو ية والنشاط يعود جزء كبير منها الى القوى الناصر ية التى فى الساحة .

فى خلال العام الماضى — ١٩٨٤ — كان الاعتراف بالناصر ية قائما من خلال الأحزاب وما ان انتهت الانتخابات حتى عاد كل حزب الى مكانه وعكف على مبادئه الخاصة مباعدا بينه و بين الناصر ية ، وعادت الحملة الشرسة غير المسئولة الى الظهور ضد الزعيم ناصر وضد الناصر ية مستغلة أى مشروع يقوم به أفراد فى أسرة الزعيم ، أوكلمة يتفوهون بها كأنما يراد لأفراد هذه الأسرة أن تدفن نفسها .. ولاتمارس حياتها الطبيعية ونشاطها المشروع .

لكننا ونحن على أبواب عام جديد ، نفرق تماما بين الناصر ية و بين نظام الحكم الذى ساد فى الفترة من يوليو ١٩٥٢ الى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، كما نرفض — تماما — الاعتراف بالتغييرات التى وقعت فى الفترة من مايو ١٩٧١ الى ١٩٨١ ، تلك التغييرات التى تعتبر انقلابا على ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

نحن ناصر يون ، نفرق تماما بين الناصر ية و بين العناصر التى ارتبطت بنظام الحكم .

نحن لا نقبل ورثة ، ولا أوصياء ، انما نحن نعتبر أن الحزب الناصرى قائم بالقضاء .. و بالوجود الفعلى الذى لايمكن انكاره ، و بتغلغل المبادىء الناصر ية

بين طبقات الشعب وفئاته ، ويحرص أبناء هذا الشعب على حماية المنجزات الناصرية والتصدى لكل من يحاول النيل من هذه المنجزات والمكاسب .

ان القوى المناوئة للاعتراف القانونى بشرعية الحزب الناصرى تحاول الصاق تهم باطلة بالناصريين .. فخلال أحداث الطلبة خرجت بعض المنشورات المطبوخة فى مصانع هذه القوى باسم الناصريين وهى حيلة يعمد اليها كل من فقد القدرة على المقاومة الشريفة والمعارضة النبيلة .

ان المنشورات التى تظهر بين الحين والآخر وتنشرها بعض الصحف التى تفوح منها رائحة الحقد والانتقام ، وتلصق بالناصريين وتظهرهم على أنهم طلاب عنف وارهاب .. منشورات مكشوفة ومفضوحة وغير حقيقية وملفقة .

ان الناصريين هم أول من قالوا بالنقد والنقد الذاتى ، وهم الذين أيدوا ووقفوا مع كل خطوة ديمقراطية ولاتعنى مطالبتهم باعادة تنظيم المجتمع للقضاء على الفساد والرشوة للانطلاق بالانتاج الى افاق واسعة لا يعنى هذا أنهم ضد الديمقراطية .. فرق بين الديمقراطية و بين استغلال الجماهير والمتاجرة بمتاعبها وتزييف الواقع أمامها .. فرق كبير بين ديمقراطية الجماهير العادية ، وديمقراطية الذين يملكون و يطالبون بحريتهم فى المتاجرة باللحوم الفاسدة والنقد الأجنبى وهدم الاقتصاد .. هذه حريتهم .. وتلك حريتنا ، ولابد فى العام الجديد (١٩٨٧) أن تظهر الفروق واضحة بين حريتهم وحريتنا ، ديمقراطيتهم وديمقراطيتنا .

• تعليـق عـلى كــــتاب .. !

ما يمتاز به الناصريون عن غيرهم أن لديهم فلسفة خاصة عن الكون والحياة .. وعن التغيير .. ولديهم رؤية فريدة عن الواقع المتغير، وأسلوب للمارسة قابل للجدل .. على عكس التيارات الأخرى الممثلة فى أحزاب لاتملك سوى برامج ونظرة عامة للمجتمع غير قائمة على أساس من الواقع أو العلم .

وهذا واحد من الناصريين اللامعين ، صاحب الكتاب الذى أقدمه بعنوان «فى الناصرية» وقد صدر منذ عدة أيام ، و يعتبر هذا الكتاب من الكتب القلائل التى تنهج نهجا علميا وموضوعيا فى الحديث عن الناصرية وتقديمها ومناقشتها .

ومحمد سلماوى صحفى ، وناصرى ، وشارك منذ عدة سنوات فى محاولات اقامة تنظيم سياسى ناصرى عندما أعلن عن قيام المنابر السياسية تحت اسم «منبر طليعة التحالف» . وقد اعتقل خلال أحداث ١٨ ، ١٩ يناير سنة سنة ١٩٧٧ وأبعد عن عمله بالأهرام مرتين .. الأولى عام ١٩٧٣ ضمن قائمة ١٢٠ صحفيا وكاتبا .. والكتاب مجموعة من المحاضرات كان قد ألقاها فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة باللغة الانجليزية .. ومناقشات دارت بينه و بين بعض المهتمين بالشرق الأوسط فى باريس ولندن .. بالاضافة الى عدد من المقالات والتحقيقات الصحفية بعضها نشر و بعضها لم ينشر .

يقول محمد سلماوى أنه من أصعب المهام عند التصدى للناصرية هى تعريف هذا الفكر السياسى . فالناصرية لم تبدأ بفكر نظرى متكامل وانما هى نتاج لتجارب سياسية ممتدة عبر حوالى عقدين من الزمان ، وعلى مساحة تمتد من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى ، صحيح أن جمال عبدالناصر بشخصه كان مركز هذه التجارب لكن الناصرية ليست إبتداعاً خاصا لفرد أو زعيم وانما هى حصيلة نضال أمة بأسرها استطاع جمال عبدالناصر أن يعى حقائقها أكثر من غيره ومن ثم أن يبلور فكرها السياسى فى نسق ناضج ومتكامل .

ولذلك فعندما كان عبد الناصر يتحدث عن أن «الشعب هو المعلم» لم يكن ذلك تواضعا ديماجوجيا ، وانما كان ذلك تعبيرا حقيقيا عن طبيعة عملية التفاعل السياسى التى ظلت قائمة بين جمال عبدالناصر والشعب العربى طوال حياته .

ونتيجة لذلك لم يستخدم جمال عبدالناصر كلمة «الناصرية» للدلالة على الخط السياسى الذى كان يتبعه وانما كان يفضل عليها تعبير «الثورة العربية» فالتعبير الأول يفترض أن هذا الخط السياسى المتميز هو نتاج لفكر الشخص الذى اتخذ منه اسمه بينما فى التعبير الثانى دلالة واضحة على تفاعل زعامة جمال عبد.الناصر مع جماهير الثورة فى الوطن العربى .

كذلك ظل جمال عبد الناصر طوال حياته يستخدم تعبير «ثورة ٢٣ يوليو» للدلالة على النظام الحاكم فى مصر ابتداء من قيام الثورة عام ١٩٥٢ وحتى رحيله ١٩٧٠ .

ويرى سلماوى أن التعبيرين خاطئان تعبير «الثورة العربية» ، «ثورة ٢٣ يوليو» .. صحيح أن جمال عبدالناصر كان المعبر الحقيقى عن الثورة العربية طوال فترة زعامته لكن الثورة بدأت قبله وستستمر بشكل أو بآخر بعده .

وصحيح أن جمال عبد الناصر كان المخطط الأول والمنفذ لثورة يوليو، لكن هذه الثورة لم تكن حكرا عليه وحده فلكل من زملائه الضباط شرف الانتساب اليها .

ان الثورة العربية اتخذت خطا محدداً طوال فترة زعامة جمال عبد الناصر للعالم العربى يميزها عن الفترة السابقة على عام ١٩٥٢ كما يميزها عن الفترة اللاحقة لعام ١٩٧٠ ، أى أن وجود عبدالناصر فى موقع زعامة الثورة العربية كان فى حد ذاته محددا لأبعادها وموجها لأهدافها .

ومن ناحية أخرى فإن التجارب أثبتت بعد عام ١٩٧٠ أن ثورة يوليو لم تكن أكثر من الاطار الواسع الذى ضم فى داخله اتجاهات سياسية متباينة تبدلت وتحولت عن الخط الذى كانت تنتهجه قبل عام ١٩٧٠ فما هو السبب فى ذلك ؟

ان المتغير الوحيد الذى طرأ فى الحالين هو غياب خط سياسى لم يرتبط لا بالثورة العربية ولا بثورة ٢٣ يوليو ككل وانما بشخص بعينه هو جمال عبدالناصر، وهكذا فعندما اختفى اختفى معه هذا الخط من السلطة الحاكمة رغم أن معظم بقية أعضاء الثورة استمروا وان اختلفت مواقعهم . لذلك فإن هذا الخط السياسى الذى اتخذته مصر والثورة العربية فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن لن

يتخذ لنفسه اسما بعيدا عن اسم الشخص الذى أثبتت الأحداث أنه هو المسئول الأول عنه .

ومن هنا فإن كتاب محمد سلماوى لا يضم كتابات عن ثورة ٢٣ يوليو التى يكثر الحديث عنها الآن ، والتى تتنازع شرف الانتماء اليها والتعبير عنها أحزابا لا صلة لها بها ، وانما هو عن بعض جوانب ذلك المنهج السياسى الخاص أو الخط السياسى الخاص بجمال عبد الناصر والذى صاغه من خلال تفاعله مع آمال وآلام جماهير هذا الشعب فوضع بذلك أساسا لنظرية سياسية جديدة صارت تعرف فى العالم اليوم باسم « الناصرية » .

● عبدالناصر .. والدين

لم يكن عبد الناصر متعصبا ، وتلك طبيعة الزعماء الذين لم يصابوا بداء الشوفينية ..

كان عبد الناصر يؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع ، وفى مجتمع تتعدد فيه الأديان ويختلف الولاء بين دين ودين يصبح الزعيم بين كل الأديان وفى وسطها وفى مكان القلب منها ..

لا ينفى هذا أن عبد الناصر كان فيه شىء من التعصب ، وهو تعصب صحى لأنه تعصب للانسان ولما كان جوهر الدين هو الانسان خيره وشره ، صلاحه وتقواه ، تحريره وعبوديته .. ، فإن كل انتصار لجوهر الدين هو انتصار للإنسان .

لكن .. ليس كل الناس يؤمنون بالدين على هذا النحو، فالذين يستغلون الانسان سيجدون فى الدين قيداً على حريتهم فى استغلال الناس واستبعادهم .. والذين يستعبدون البشر و يتسلطون عليهم سيختبئون فى الجحور حتى لا تصلهم أضواء الدين فتكشف سرهم .

وفى قضية واحدة : كالدين تختلف نظرة الناس وتتعدد آراؤهم لاختلاف زاوية النظر.. فهذا يرى جوهر الدين .. وذاك لا يرى إلا قشرته الخارجية ، وهذا يرى حقيقته .. وذاك يرى مظهره وشكله ..

• الارهاب والدين ..

وقد إستخدم الدين لإرهاب الفكر فى العصور الوسطى ، وأنشئت محاكم التفتيش لمعاقبة الناس عما فى صدورهم .. وظهر النبلاء والأمراء والملوك متسلحين بالحق الالهى لفرض ارادتهم على العباد .. وتحول رجال الدين الى كهنة يبيعون صكوك الغفران للذين ينشدون أبواب الجنة .

تحت راية الدين فى أوروبا نما الارهاب والبطش ، وعلى ترانيم المزامير والكتب المقدسة سار الجزارون الى الحروب ..، وعلى بركة رجال الدين أبيدت مدن وأزهقت أرواح الآلاف .

وكان الكهنة والقساوسة يعيشون فى قلاع وحصون وأديرة وكانت أملاك الأديرة تمثل ٢٥٪ من ثروة فرنسا قبل الثورة .. ولم يكن عجبا أن تشتعل الثورة الفرنسية ضد الملكية المستبدة والاقطاع ورجال الدين ..

لكن فى الشرق كان الأمر يختلف كان للدين دور ثورى لصالح الانسان ولصالح الجماهير..

الشورات التى قامت فى مصر قامت أكثرها من الأزهر ومن المساجد والكنائس .. وتحت قيادة رجال الدين ، المقاومة العنيدة للمستعمرين نهضت تحت كلمة « الله أكبر» ومن هنا ، اختلفت النظرة .. أيضا ــ الى الدين ، فالدين فى الشرق له دور ثورى وتقدمى لصالح الانسان ... والدين فى الغرب ترسخ ضد الانسان وضد حريته وتقدمه .

● عبد الناصر والدين ..

يقول عبد الناصر فى الفصل السابع من الميثاق الوطنى :

ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان حق المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .. ان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات تتصادم مع حكمته الالهية السامية لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أردات احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تتلمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم ..

و يستطرد عبد الناصر : ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة والحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان ،

ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ولايرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

إن الله ـــ جلت حكمته ـــ وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة و ينبغى لنا أن نذكر دائما أن حر ية الانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال .. ان العبيد لا يقدرون الا على حمل الاحجار .. اما الأحرار فهم وحدهم القادرون على التحلبق الى آفاق النجوم .

● الدين والسياسة ..

لقد كان الدين يستخدم دائما لتحقيق أغراض سياسية ، فعندما جاء نابليون غاز يا لمصر وفى رأسه حلم يؤرقه ببناء امبراطور ية فرنسية فى افر يقيا تكون عاصمتها مصر ولمد نفوذه الى الهند وقطع الطر يق على انجلترا ، اتجه أول ما اتجه الى المشايخ والعلماء محاولا استرضاءهم أو شراءهم ليحكم باسمهم أو من خلالهم و يكتسب شرعية البقاء فى مصر كمستعمر .. فما الفرق بينه و بين العثمانيين ؟ الفرق الوحيد هو الاسلام .. وهكذا قيل أن نابليون قد أسلم وعددا كبيرا من قواده أسلموا أيضا ، لكن الحيلة لم تنطل على المشايخ والعلماء .. وخرج من بين أروقة الأزهر شاب عربى اسمه سليمان الحلبى ترصد للجنرال كليبر وقتله ..

كانت هذه الجريمة الصغيرة ردا على الجريمة الكبرى التى ارتكبها الفرنسيون بغزوهم مصر ..

وهكذا خرجت من حضن الأزهر المقاومة العنيدة التى حولت وجود الجيش الغازى الى جحيم ..

وعندما هب عرابى مقاوما الغزو البر يطانى ومدافعا عن استقلال بلاده أصدر الخليفة العثمانى فتوى بناء على طلب الانجليز ، فتوى تقول بارتداد عرابى عن الدين بهدف شق التضامن والتلاحم الشعبى معه ..

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى وأرادات انجلترا أن تجعل الشعوب العربية تقف على الحياد وتنضم الى الحلفاء ضد ألمانيا وتركيا .. أرسلت أقدر رجلين الى الشرق وهما لورنس وفيلبى .. الأول قبع الى جانب الشريف حسين حاكم مكة والثانى كان يتبع الملك عبدالعزيز كظله والهدف أن يقدما لهذين الحاكمين النصيحة والمشورة التى تعود على انجلترا بالخير.. ولكى يصلا الى قلب هذين العاهلين أسلم كل منهما أو ادعى الاسلام وتزوج فيلبى مسلمة وسمى نفسه الحاج عبدالله فيلبى ..

واذا كانت انجلترا هى أولى الدول التى نجحت فى استعمال الدين لخدمة أهدافها السياسية فقد سارت الدول الغربية بصفة عامة فى هذا الطريق الذى فتحته بريطانيا ، والمتأمل فى الحركات الدينية أو التى ترتدى عباءة الدين يجدها تصب فى مجرى واحد .. هو مجرى مصالح الدول الكبرى ، فالماسونية مثلا التى تدعو الى وحدة العالم بحيث يصبح من حق الانجليزى أن يسطو على بيت مصرى . ومن حق الأمريكى أن يستولى على مزرعة سودانى .. ومن حق الصهيونى أن يستولى على أرض فلسطينية .. ، ولكن الماسونية لاتدعو المصرى ان يأخذ بيت الانجليزى ولاتدعو العربى أن يسترد أرضه من اللص الذى سرقها ..

والبهائية — أيضا — لم تخل من الأصابع المشبوهة التى امتدت اليها ولوثتها ووجهتها لخدمة الاستعمار تحت ستار الدين أو ستار نحلة من نحل الدين فزعماء البهائية يدعون الى ابطال الجهاد « حرم عليكم حمل آلآت الحرب » وهذا التحريم قاصر على شعوب الشرق فقط .. حتى يصبحوا شعوبا «عزلا» من السلاح ضحية ومغنما للذين يملكون السلاح .

وعندما قامت اسرائيل كخنجر أجنبى فى جسد العالم العربى كانت مشروعا دينيا لتحقيق هدف سياسى وعندما أصبحت دولة بدت تتلفت حولها من وراء جدران العزلة المفروضة عليها وتتساءل : كيف أتوسع وألتهم المزيد من الأرض .. ؟

وجاءتها النصيحة من أربابها وهى : بالفتنة فالفتنة تشرد وتفرق وتمزق .

وبدأت اسرائيل بأجهزة المخابرات الغربية ترسم خطة التشريد والتفريق

والتمزيق بفكرة بسيطة وهى : أن الدول التى تقوم على أساس دينى هى الدول المستقرة وان أى دولة تتعدد فيها الأديان وتتسع لمختلف الطوائف والملل مقضى عليها بالفشل .. انظروا إلى اسرائيل القائمة على دين واحد هو اليهودية ! !

وفى مواجهة هذه الفكرة كان النموذج اللبنانى ينهض فى تحد وقوة . فلبنان دولة تتعدد فيها الأديان والملل والنحل ومع ذلك فانها ثابتة ومستقرة وتنمو وتتطور ..

كان يجب أن يضرب النموذج اللبنانى لتأييد الفكرة الصهيونية أولا ولالتهام جزء من الجنوب اللبنانى أو اخضاعه أو السيطرة عليه بحجة الأمن ثانيا .. أما السبب الثالث فهو القضاء على المقاومة الفلسطينية ..

ولدعم هذا المخطط كان على اسرائيل أن تجد المبرر والوسيلة لدخول لبنان لتثبت أن الدولة المتعددة الأديان والمذاهب لا مكان لها فى العصر الحديث . ولابد من تقسيم لبنان بين الأطراف المتنازعة لابد أن تصبح لبنان خمس دول : دولة مسلمة ، ودولة مسيحية ودولة درزية ودولة مارونية ودولة شيعية ..

● من المستفيد من تمزيق لبنان ؟

المستفيد هو الجار الذى يقع فى الجنوب : اسرائيل .

ووقفت اسرائيل الى جانب الخمينى وأمدته بالخبرة والسلاح والمعلومات عن العراق . وتبرعت لنسف المفاعل الذرى العراقى بحجة أنه سوف يستخدم ضد اسرائيل .

● لماذا وقفت اسرائيل مع نظام الخمينى .. ؟

لأن نظامه نسف الأحزاب الأخرى والأديان الأخرى والملل الأخرى غير ملة الشيعة ، وتفرق الشعب الايرانى . وخرج الكثير من أبنائه هربا من المذابح والطغيان .. لتثبت أن نموذج الدولة الثيوقراطية — الدينية — هو النموذج الأمثل ..

● من المستفيد من اضعاف ايران وتمزيقها .. ؟

المستفيد هو الغرب واسرائيل .

والنموذج السوري ظاهر للعيان ولا يحتاج الى دليل .. فالاتفاق واضح . والتعاون مكشوف بين الغرب وبين سوريا كشفه حادث الطائرة المخطوفة والرهائن .

فسوريا تطبق المبدأ العلوي .. والمواطنون الذين يدينون بمبدأ آخر عليهم السلام ..

يبقى بعد كل هذا : مصر ، الدولة الكبيرة ذات التجمع الكبير الموقع والتاريخ . التي عاشت آلاف السنين دون أن تنشب فيها حرب أهلية .. لأن الوحدة دينها والتضامن والتلاحم بين أبناء مصر بديهية ثابتة . وقاعدة مستقرة .. اذن فلابد من اضعافها واضعافها يعني تمزيق وحدتها وضرب تلاحمها وتضامنها ودق اسفين بين ابنائها .. لا بين المسلمين والمسيحيين فقط بل بين الملل والمذاهب أيضا فإذا ما نجحوا فى تقويض هذا الصرح المصرى دانت لهم الأرض كلها ..

المطلوب اذن هو ضرب هذا النموذج لاثبات النظرية الاسرائيلية التى تقوم على الدولة ذات الدين الواحد ..

عيونهم على مصر

كيف يمكن تخريبها من الداخل ؟

وكان عبد الناصر يعي هذه الحقيقة جيدا فلم يخضع لمزايدات رجال الدين والمتطرفين منهم . حتى عندما لجأوا الى السلاح وشهروه فى وجهه وهددوه .. كان يعلم أن الهدف هو تقسيم مصر وشقها واضعافها وضرب وحدتها وتضامنها ..

وقد اندفع المتطرفون يلهثون وراءه يمطرونه باتهامات الالحاد و يقولون انه يطبق الاشتراكية والاشتراكية تعني الالحاد . والمساواة بين البشر ظلم لأن الله يقول « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات » وكانوا يؤلفون الحكايات عن الموظف الذى أراد أن ينقل من الاسكندرية الى القاهرة فكتب طلباً إلى على صبرى وكتب فى أعلى الصفحة « بسم الله الرحمن الرحيم » .. فما كان من مدير المكتب

إلا أن أشار للموظف بشطب هذه الجملة لأن على صبرى لا يطيق كلام الله ..

وعندما وقعت نكسة أو نكبة يونيو ١٩٦٧ قال الرجعيون الذين يزايدون أن سبب النكسة هو البعد عن الدين . وقال آخرون أن السبب الوحيد هو أن المال الذى اشترى به ناصر السلاح مال حرام لأنه جاء من التمصير والتأميم .. وقالت بقية الجوقة انه لابد من العودة إلى الدين وإلى الله الذى ابتعدنا عنه كثيرا . ولم يكن كل هذا يعنى إلا الاستسلام للفكرة الصهيونية التى تريد تقسيم البلاد وتمزيقها .

وكان عبد الناصر يملك بديهة رائعة وهى أن يبحث عن المستفيد من أى موقف .

وكانت الأصابع تشير دائما الى اسرائيل والغرب الذين يريدون مصر ضعيفة لتخضع .

وكان عبد الناصر يقول : لو صعدت الى المئذنة وقلت بأعلى صوتى الله أكبر ماصدقوا .. لأنهم لايريدون جوهر الدين وهو العدالة .. بل يريدون شكل الدين ومظهره بما يتيح لهم استغلال الناس واستنزاف المجتمع .

كان عبد الناصر يقول :

« الدين هو المساواة ، الدين هو العدالة . الدين هو أن نعطى أموال المسلمين للمسلمين .. الدين هو العدالة الاجتماعية .. اللى عاوز يطبق الاسلام يوزع أموال المسلمين على المسلمين و يقول أهو ده الدين ، وأقول له أنت دلوقتى اشتراكى لأنك بتقيم عدالة اجتماعية وتقيم المساواة بين الناس .. اللى عايز يطبق الدين مايعملش الشعب أسياد وعبيد ده الكفر . ده كفر الرجعية اللى بتحاول انها تستغل الدين ..

ان هناك شركات تدعى العمل بالأسلوب الاسلامى توزع على مساهميها أرباحا تصل الى ٢٥ ٪ و٣٠٪ وهذا يعنى انها تربح أكثر من ٥٠ ٪ .. فمن الذى يدفع هذه الأرباح العالية .. ؟

المستهلك هو الذى يدفع .. فهل هذا من الدين أو من الاسلام ؟

وفى كـل قـضـيـة لابـد دائما أن نسأل : من المستفيد من كل هذا ؟ وعلى ضوء إجابة السؤال يتحدد الموقف .

• الأخـــوان والوفـــد

ما الذى يبقى الاخوان المسلمين فى حضن الوفد ؟

ان الوفد ليس أشد إيمانا ولا إسلاما من الأحزاب الأخرى ، ورئيس الوفد لا يضع العمامة على رأسه واسمه حتى الآن فؤاد سراج الدين وليس الشيخ فؤاد سراج الدين .. وأعتقد أنه لا يوجد نص فى شريعة الاخوان أو برنامجهم يحتم عليهم الانضمام إلى الوفد والارتماء فى أحضانه .

فما السبب يا ترى فى هذا الحب المفاجىء والوله المبالغ فيه بين الاخوان والوفد .. ؟

يجب التسليم بداهة أن الوفد الجديد ليس هو الوفد القديم ، الوفد الجديد شيء آخر ، تفصيل الثمانينيات ، الانفتاح الاقتصادى ، العداء للتغيير الاجتماعى ، ادانة الحركات الثورية ، الارتباط بالرأسمالية العالمية ، تصفية الحساب مع ثورة يوليو ، ضرب الانجازات الاجتماعية وأهمها القطاع العام ، تشويه المشروعات الكبرى كالسد العالى والتصنيع الثقيل ، وتحرير الفلاح .. الخ .

ولم يكن هذا هو الوفد الذى نريده والذى تحمسنا لظهوره من جديد .

كنا نرى فى الوفد أنه الحزب الوحيد المؤهل لمواصلة حمل راية ٢٣ يوليو للتغيير الاجتماعى ولمواصلة الكفاح بالوسائل الديمقراطية وتجميع كل القوى تحت لوائه .

أعداد كثيرة من المثقفين والعمال والفلاحين وضعوا أسماءهم فى جداول المؤسسين لحزب الوفد الجديد اعتمادا واعتقادا أنه سوف ينطق بما كان ينطق به الوفد القديم ، وانه سيضم شرائح متعددة ومختلفة من القوى الاجتماعية .. لكنه كان اعتمادا على «حيطة مايلة» كما يقولون واعتقادا فى غير موضعه .. لقد انكشف الوفد الجديد انه حزب ملاك الأراضى ، أصحاب الشركات ، مؤسسو المشروعات الاستهلاكية ، رجال المال الذين يستنزفون اقتصاد مصر .

وأحس اليسار وطلاب التغيير الاجتماعي بأن مكانهم ليس فى الوفد ، مقاعدهم شغلها ملاك الأرض العائدون ، المخلوقات المنقرضة التى جاءت تنتقم من الفلاح الذى أصبحت له كرامة .. والعامل الذى أصبح له مكان فى مجلس ادراة الشركة والمؤسسة التى يعمل فيها .

لم يعد الوفد يضم وجوها مثل د. مندور وعز يز فهمى والخميسى والشرقاوى ، أصبح الوفد يمثل الوجه المعادى لثورة يوليو.

وأفصح رئيس الوفد عن نفسه وأعلن أنه يختلف مع ثورة يوليو بنسبة ١٨٠ درجة .. وهذا يعنى أن الوفد تحول الى معمل لتفريخ العناصر المضادة ليوليو وانجازاتها .

وفى هذا الوقت بالذات كان الاخوان يبحثون لأنفسهم عن مظلة تحميهم وتحمى ثرواتهم العائدة وتحمى شركاتهم ، وتحمى أراضيهم . وضياعهم التى بدأوا يتملكونها بعد عودتهم من دول النفط التى احتضنتهم واستضافتهم وساعدتهم نكاية فى عبد الناصر وثورة يوليو. فلما مات عبد الناصر وبدأ عصر الانفتاح أحسوا بأن وقتهم جاء .. وساعتهم دنت .. وماعليهم إلاأن يركبوا الموجة .. و بالفعل كانوا يقدمون الحل وهو أن يقوموا بدور الحاجز ضد المبادىء المستوردة أى ضد ر ياح التغيير الاجتماعى .. لا لأنهم يؤمنون بها أو لا يؤمنون .. انما لأن مصالحهم أصبحت ترتبط ارتباطا وثيقا بمجتمع الانفتاح .

بداهة لم يكن هناك سوى الوفد يحمى الاخوان ومصالح الاخوان . فالوفد ضد التأميم .. والوفد ضد القطاع العام .. والوفد ضد التغيير الاجتماعى .. والوفد يطالب بتصفية القطاع العام .

وهكذا ارتبطت مصلحة الوفد مع الاخوان .. وكان لابد أن يقدم الاخوان شيئا يمثل أداة ضغط على الحكم وعلى النظام الذى يقول بأنه يستمد شرعيته من ثورة يوليو.. ومن الحزب الحاكم الذى يعلن بأنه المدافع عن ثورة يوليو.

وقدم الاخوان الادانة المطلوبة منه وهو أنه نظام لايحكم بما أنزل الله ونظام كهذا لابد من تكفيره ..

ولم يقل الاخوان المسلمين هذا الكلام أيام الملكية ، لم يصدروا قرارا واحدا باتهام الملك بالفسوق .

وبأن المجتمع الطبقى الملكى مجتمع ظالم لاعدالة فيه .. هل كان الملك فاروق حاكما صالحا وعادلا ؟

هل كان الملك نظيف اليد واللسان والضمير ؟

هل كان الحكم شريفا وعفيفا وطاهرا قبل يوليو ١٩٥٢ ؟ .

بالطبع لا .. لأن النظام السابق على ثورة يوليو كان نظاما اقطاعيا يتسلط يه رأس المال على الحكم . نظام طبقى وهذا هو المشترك الأعظم بين الوفد والاخوان .

المجتمع الطبقى هو المطلوب اذن كل مايقوم به المتطرفون من ضجة وتطرف وادعاء بأن المجتمع جاهلى وكافر مرده أنهم يريدون المجتمع الطبقى لأنه المجتمع الذى يحمى مصالحهم ونفوذهم .

وكل زعم بأنهم يقومون بكل هذا نيابة عن الاسلام وبتفويض من العناية الالهية ، ودافعهم الى هذا هو الخوف على الاسلام والمسلمين زعم يفتقر الى دليل .. والى اثبات .

المهم لابد أن نعرف أن المصالح هى التى تحرك الأفراد والجماعات ومصلحة الجماهير ليست بالقطع فى عودة النظام الملكى ولاعودة الاقطاع ولا سيطرة رأس المال على الحكم قد يكون فى هذا مصلحة فئة معينة أوجماعة معينة وهذا طبيعى .. وواجبنا أن نرشد هذه الفئة ونسدد خطوات هذه الجماعة وندعوها إلى الطريق القويم .

● مقبــرة الزعيــــم

الـذيـن يـتـصـورون أنهـم قـادرون على الـنـيـل من اسم عبد الناصر ، ومكانة عـبـد الـنـاصر ، ورصيده لدى الجماهير فى مصر والعالم العربى .. الذين يتصورون ذلـك يحـرثـون فى الـبـحـر وقد أصيبوا بعمى البصر والبصيرة بحيث لا يدركون مدى الفشل الذى يمنون به أثر كل معركة يخوضونها ضد ناصر والناصرية .

لذا تـراهـم سـادرين فى غيهـم لا يفيقون منه إلا لينغمسوا فيه المرة تلو المرة .. نـصـب أعينهم أمل هو اقتلاع ناصر والناصرية من صدور الجماهير .. وهو أمل لن يتـحـقـق .. و يتحول الى سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ضعف الطالب والمطلوب .. !

ولا نـريـد تـذكير الـفـرقـة المختصة باذاعة هذه الاسطوانة المشروخة بين الحين والآخر .. كما لا نريد تنشيط ذاكرتهم ليرجعوا عما هم فيه .. فذاكرتهم مفقودة .. والتنشيط قد يجدى فى حالات كثيرة .. انما لا ينادى المفقود ولا يأتى بالغائب .

وتستطيع أن تعرف هؤلاء بسيماهم ، فهم جحافل قوى منقرضة كانت تقتات بعرق الجمـاهير .. وتستنزف قواهم ، وتراهن على بيعهم . لكنها تخسر الرهان فى كل مرة .

مـرة يـثـيـرون قضية وهمية اسمها «ذمة عبد الناصر» ، ومرة أخرى يعلنون أنه كـان يـبنى المشروعات الفاشلة ليرهق شعب مصر بها مثل مشروع السد العالى .. والثورة الخضراء ، والتصنيع .

ومـرة ثـالـثـة ورابـعـة يـتقولون على أولاده و بناته بأنهم حصلوا على ما ليس من حـقـهـم .. لأن أبـنـاء عـبـد الـنـاصر ليس من حقهم أن يتعلموا ويحصلوا على أعلى الـدرجـات الـعـلـمـيـة .. بجهودهم وكفاحهم الذاتى وليس من حقهم أن يعيشوا كـبـقـيـة خـلـق الله لأن الزعيم نـاصر كان يدعو الى الاشتراكية ، والاشتراكية فى نـظرهم تعنى اشتراكية الفقر والجوع .. بينما «الانفتاحية» تعنى الثراء .. والتحرر

والديمقراطية .. ومن كان هذا رأيه فلا حق لأولاده فى العيش إلا كمواطنين من الدرجة الثالثة .. لأن الدرجة الأولى لايجلس فى مقاعدها إلا تجار السوق السوداء وسماسرة النهب والفساد .

ثم تجىء الدعوى المرفوعة أمام القضاء من جمعية خيرية حصلت على أرض فى القبة باسم الدين والعمل الخيرى لاستغلالها فى انشاء مسجد ومستشفى .. وهى نفس الأرض التى أقيم على جزء صغير منها قبر للزعيم جمال عبد الناصر .. والهدف من الدعوى هو: منع تعرض الغير لأرض الجمعية .. و.. نقل قبر عبد الناصر الى مكان آخر.

وكان من المأمول أو من المخطط أن تنظر هذه الدعوى فى صمت كأى دعوى قضائية و يصدر فيها الحكم بمنع التعرض .. ثم .. ينقل قبر عبد الناصر وهكذا يتحول السيناريو من مجلس ادارة الجمعية الخيرية التى حصلت على الأرض بالمجان لبناء مسجد .. الى قضية سياسية ملتهبة !

كان من المأمول أن يحدث ذلك لولا ان كشفت «روزاليوسف» النقاب عن هذا السيناريو.

وفى مصر مساجد هامة تضم رفات ملوك وزعماء .. وقادة ، لم يفكر أحد .. سواء كان جمعية أو أوقاف .. أو مصلحة املاك أو حتى قطاع خاص أن يطلب بنقل رفات من ماتوا ودفنوا فيها بسبب موقف سياسى .. أو مزايدة حزبية .. لأن رفات الزعماء والقادة والذين مثلوا مصر ونطقوا باسمها ورفعوا لواءها وساروا تحت رايتها .. وانحازوا الى أغلبية شعبها ــ العمال والفلاحين والموظفين ــ لأن هذه الرفات يجب أن تدفن فى أوطانها .. فى ثرى البلاد .. و بين أحضان الجماهير.

وقد كان نقل رفات الزعيم عرابى الى مصر قضية هامة .. وكذلك نقل رفات الزعيم محمد فريد .. لأنه شرف لمصر وللمصريين أن يدفن فى ثراها المخلصون من أبنائها ، الذين ضحوا فى سبيلها وانحازوا الى أغلبية شعبها ، ولاعجب أن يتبنى العدوان على أسماء الزعماء .. وتلويث سمعتهم .. ومحاولة النيل ، البقايا المنقرضة من جماعة الـ ٥ ٪ الذين كانوا يحكمون مصر .. و يستنزفون شعبها وثرواتها .. وهم

اليـوم .. وقد بدأوا يتنفسون .. و يستردون ما كانوا قد اغتصبوه وسرقوه ــ يحاولون أن يجدوا الأمـن والـطـمـأنينة فى محو اسم ناصر .. والتآمر على انجازاته حتى وصل الأمر إلى محاولة نقل رفاته .. تحت ستار كان يبنى جمعية خير ية تر يد أوتدعى أنها تـر يـد بـنـاء مدرسة أومستشفي .. وهو الذى دعا ــ فى حياته ــ مدرسة كل يوم ، و وحدة مجمعة كل شهر فى كل قر ية تضم مسجدا ومدرسة ومستشفى .

متى يخجل هؤلاء القوم من أفعالهم ؟

• عبدالناصر والمستقبل

لم يكن السد العالى قضية عبد الناصر وحده ، بل كان قضية كل مصرى له نظرة مستقبلية وكان عبد الناصر يملك هذه النظرة .. كان عبد الناصر يستشرف المستقبل ، يمد بصره دائما الى الغد ..

كان لا يبالى بما فى الحاضر كثيرا ، ولا بالصعوبات الراهنة ، انما كان يرى أن جيله يستطيع أن يتحمل و يكافح و يناضل فى سبيل اعادة بناء مصر من جديد ..

وكان من السهل على عبد الناصر الاستسلام لمغريات اللحظة الراهنة ، و يقف فى مكانه «محلك سر» و يقنع بما هو موجود ، يرضى بالواقع ، و يقابل المشاكل بهز كتفيه ، و يغرق البلاد بالسلع الاستهلاكية ، والوعود الكاذبة التى تشرق عليها شمس الحقيقة فتبددها فى اليوم التالى ..

لم يكن عبد الناصر من النوع الذى يفرش الأرض بالآمال العريضة ويهرب من المشاكل الحقيقية أو يدور حولها ، و يعطى ظهره للقضايا الملحة ، و يتجاهل المطالب الحيوية للشعب ..

كان يملك منذ اللحظة الأولى القدرة على النظرة المستقبلية ..

والنظرة المستقبلية تورث صاحبها قلقا أبديا لا يعرف الراحة ، فهو يبحث دائما عما يمكن أن يصلح للمستقبل ، ومايضمن للأجيال القادمة الحياة الآمنة الكريمة ، لم يكن عبد الناصر ابن اللحظة الحاضرة وإلا لتحولت ٢٢ اذاعة موجهة ضده الى ١٠٠ اذاعة تمدح فيه وتثنى عليه ، ولم يكن يعنى كثيرا بأن يتحمل هذا الجيل

بعض الصعوبات والمخاطر .. كان ينظر الى هناك .. الى الايام القادمة ، الى الغد ..

كذلك فإن النظرة المستقبلية نظرة واقعية ، فلم يكن عبد الناصر فى حاجة لأن يعلن الديمقراطية بينما ارادة الفلاح والعامل الفقير والجماهير العريضة فى أيدى الاقطاعيين وأصحاب الشركات الأجنبية من اليهود والانجليز والفرنسيين والبلجيك والمصريين الموالين لهم ..

كانت الديمقراطية تعنى عند عبد الناصر فى المرحلة الأولى من ثورة يوليو تحرير ارادة الفلاح والعامل والموظف البسيط .. ، وكانت تعنى — أيضا — استقرار المجتمع وثبات أوضاعه بحيث يتحرر من أفكار الصدفة .. والمغامرة والمضاربة التى تحكم حركة المجتمع وتوجهه آنذاك ..

وكان من السهل على عبد الناصر أن يعيد الأحزاب فى مارس سنة ١٩٥٤ و يضع نجيب على رأس الدولة و يظل يحكم هو من ورائه وتحت بخور زعماء الأحزاب .. ونفاقهم وكذبهم ومؤامراتهم .. لكنه لم يفعل .. لأن المستقبل كان يناديه .. الغد كان فى انتظاره ..

كان عبد الناصر ينظر الى الغد و يترقبه و ينتظره .. وكان يرى أن الأوضاع الحالية ، والهياكل القائمة للانتاج لاتصلح لمواجهة أيام المستقبل .. وبهذه النظرة استطاع أن يدرك ضرورة اقامة السد العالى لمصر فى الحاضر وفى المستقبل .. فالرقعة الزراعية لاتكفى سكان مصر وعليه زيادتها ، والمياه لابد أن تكفى زراعة مليونى فدان اضافية ، ولابد من تحويل رى الحياض الى رى دائم ، وزراعة حوالى مليون فدان أرز ، وتحسين الصرف لجميع الأراضى الزراعية ، ورقابة كاملة للفيضان سواء ارتفع أم انخفض .. وتوليد طاقة كهربائية تصل الى نحو مليونين ونصف مليون كيلووات ..

ولا نستطيع القول الآن ، بأن أفريقيا كلها تواجه الجفاف القاتل ، فى الوقت الذى يسود الزراعة فى مصر شكل من أشكال الاستقرار فى الزراعة والرى والطاقة .. نتيجة لوجود السد العالى .. لانستطع القول بهذا فقط .. فنتيجة لاتساع بحيرة ناصر وعمقها وارتفاع منسوب المياه فيها ، تتزايد ثروتها السمكية ..

والفضل يرجع اليها فى توفير الأسماك المنتشرة فى منافذ توزيعها فى كل المدن المصرية بأثمان تثير أحقاد الانفتاحيين الجدد وتتحداهم أن يقدموا غذاء ضرورياً للسكان مصر من مشروعاتهم التى أنفقوا ضعفها فى « البروبوجندا » بلافائدة .

وبهذه النظرة المستقبلية – أيضا – استطاع عبد الناصر أن يرى فى الشريط الضيق الموازى لنهر النيل العظيم والذى يضم على جانبيه سكان مصر ، استطاع أن يرى فيه قصورا يعجز عن احتضان زيادة السكان فى السنوات القادمة .. ولذا فقد وافق على مشروع مديرية التحرير لاقتحام الصحراء وانتزاع أرض منها وضمها للوادى .. وكان هذا المشروع الرائد بداية على الطريق الذى انضم اليه فيما بعد الوادى الجديد والصالحية ، ومن هذا المنطلق كانت مدينة نصر التى أصبحت تضم تجمعا سكنيا ضخما ، ومن هذا المنطلق – أيضا – كانت المشاريع العديدة لتحويل مساحات كثيرة من الصحراء الى أرض زراعية .

ان مديرية التحرير التى تعرضت لأشرس حرب من الاقطاعيين القدامى ، وأصحاب الأفكار المحافظة الذين كانوا يخشون من مبدأ الملكية الجماعية للأرض التى قامت مديرية التحرير على أساسها .. والتى لاتصلح الزراعة فى كثير من المناطق إلا بها .. مديرية التحرير هذه تمد مصر الآن بأنواع لا تحصى من فواكه وتشارك فى صنع الاكتفاء الذاتى من الموالح وغيرها .. وتنهض دليلا دامغاً على نظرة عبد الناصر المستقبلية .

وكان عبد الناصر يدعو للمستقبل والاحتفال بالغد عندما أقام الصناعات الثقيلة فى مصر .. ونشر المصانع كمراكز حضارية وتقدمية فى المدن والقرى المصرية .. وكان عبدالناصر مستقبليا عندما وقف ضد الانماط الاستهلاكية .. وضد السلع الاستهلاكية .. والصناعة الاستهلاكية .. وبعد ١٠ سنوات من تطبيق سياسة الانفتاح اكتشف الخبراء أن ماقاله عبدالناصر كان صحيحا وعادوا الى المطالبة – على الأقل – بالانفتاح الانتاجى بدلا من الانفتاح الاستهلاكى وكان الانفتاح الاستهلاكى يتحدانا فى صورة فول سودانى مقشر ، شيبس ، سفن آب .. الخ .. وندفع العملة الصعبة فى استيراد ماكينات لتعبئة الفول السودانى المقشر .. و .. الخ .

وكان عبد الناصر مستقبليا عندما طرد آلافا من الذين كانوا يملكون و يديرون البنوك لنزف ثروة البلاد الى الخارج .

لقد أعيدوا فى السبعينيات دون أن يتعلموا ، ولا اكتسبوا الحكمة ، فقد عادوا الى تهر يب النقد ، وتهر يب ثروة البلاد .. ولم تكن هذه البنوك الأجنبية ، فى أفضل الأحوال أكثر من مكاتب منظمة للتجارة فى العملة .. أو سوق سوداء للنقد الأجنبى .. ، وقد ثبت أن أكثر البنوك الأجنبية صدرت للخارج أكثر من رأسمالها من العملة الصعبة ..

وقد أفرز هذا المجتمع شخصيات غر يبة على الحياة المصر ية ، مثل توفيق عبدالحى .. وسامى حسن .. كما قدم وزراء لايتورعون عن المتاجرة بقوت الشعب واستغلال النفوذ .. و بتبجح لامثيل له يملكون الجرأة على الاستمرار فى مناصبهم ! !

لكننا نأمل أن تغزو النظرة المستقبلية حياتنا من جديد ، وهذا ــ فى الواقع ــ ليس أملا بل مطلب حيوى وهدف نضالى ازاء الذين يحلمون باستمرار الأوضاع الحالية من انفتاح استهلاكى لعرض آخر المخترعات من الفول السودانى المقشر الى اللبان .. الى المياه المعدنية التى لا هى معدنية ولامياه نظيفة .. الى اللحوم الواردة من متاحف التار يخ الأور بية .. ، فمن العسير على هؤلاء الذين يعيشون على هذه النفايات و يصبحون فيها ويمسون ويحلمون بأن يملأوا جيوبهم وخزائنهم بالمال الحرام ثم يهر بون ... من العسير أن يصدقوا أن مثل هذا المجتمع الى زوال .. وأن أيامهم محدودة ، ونحن بدورنا لن نتركهم يحلمون طو يلا ، فلابد من ازعاجهم بين الحين والآخر حتى يجمعوا أشياءهم ويحملوا حقائبهم و يرحلوا وهذه أقل ترضية نقبلها فى ذكرى ميلاد الزعيم عبدالناصر .

وقد يزعم أولو البصيرة الذين يخططون للسطو على مستقبلنا أننا نسير وتحت ثيابنا نخفى الأسلحة والذخائر وصفحات من الميثاق الوطنى وفقرات نحفظها من بيان مارس، ولابد من القبض علينا واعتقالنا لأننا بهذا ندعو الى العنف ، ولأننا للأسف الشديد مازلنا ندمن ذلك المخدر الذى ساد فى الستينيات وهو الناصر ية .. نعم : نحن ناصر يون .

وقد لا تستمع السلطة لأولى البصيرة هؤلاء ، فيستمرون فى التحريض كدأبهم دائما .. لكننا لن نيأس .. وكيف نيأس وقد تمرسنا على كل هذه المعاصى .. ؟!

ان عبد الناصر يعلمنا النظرة المستقبلية .. ، لقد استطاع أن ينهض ، ويجمع شتات الجيش بعد الهزيمة و يرد الصاع صاعين و يرغمهم على التقدم لنا بمبادرة روجرز لتحقيق الانسحاب .. ولو كان من رجال الماضى أو رجال اللحظة الحاضرة لاستسلم وخضع لكنه كان ينظر الى هناك .. إلى الغد .. إلى المستقبل .. وأقل احتفال بذكراه أن نستلهم نظراته إلى المستقبل ..

● لجنة الأحزاب والحزب الناصري ..

عندما أتحدث عن الناصرية الجديدة لا أعني بها قيادات معينة ، ولا أقصد طرد شخصيات من المعبد .. إذ لا يوجد معبد ولا قدس الأقداس .. ولا أنبياء ولا رسل .. إنما يوجد شعب وجماهير ومصالح متعارضة ومتضاربة .. ولكي نقوم بدورنا ينبغي علينا أن ننظم صفوفنا وننتظر شهادة الميلاد التي سنظفر بها من القضاء . .

إن المعركة ليست معركة لافتة أو اسم أو زعامة بل معركة وحدة وطنية وباعتبار فصائل الناصرية قوة في الساحة المصرية والعربية فينبغي أن تأخذ مكانها ودورها لا تحت زعامة كمال أحمد أو فريد عبد الكريم أو علي صبري أو خالد عبد الناصر .. لأن كل هذه الشخصيات وإن كنا نكن لها كل احترام وتقدير فهي لا تمثل شيئاً إلا بقدر ما تقدم من عمل وبقدر ما تسهم به في اثراء الحركة الوطنية ووحدتها وتطورها ودفعها الى الأمام .. ونحن نعني بالحركة الوطنية : الحركة الناصرية باعتبارها تهدف إلى التحرر من الاستعمار ومن الاستغلال ولأنه خلال الفترة من يوليو ١٩٥٢ إلى أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن هناك في الساحة المصرية صوت يعلو على صوت المعركة .. وقد فشلت محاولات التنصل من المعركة .. وكان صوت المعركة وشعار ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة هو زاد

الشعب وقوته اليومى .. سواء كان هذا الشعب بملابس الميدان على الجبهة أو بثياب العمل فى الحقول والمصانع وكافة أوجه النشاط ..

فى هذه الفترة كان التطلع الرئيسى للجماهير هو تحرير الأرض الذى يعنى فى الوقت نفسه تحرير الارادة المصرية فى رسم سياسة مستقلة متطورة ومتقدمة تأخذ بعين الاعتبار مطالب الجماهير العريضة من شعبنا .

ولكن بعض الفلول المختبئة فى الجحور تحولت فى فترة ما بعد الحرب إلى قطط سمان ودقت العناصر الناصرية عندئذ ناقوس الخطر محذرة بأن هذه القطط الخطرة لن تتردد فى التهام كل ما على المائدة المصرية حتى ولو كان ألبان الأطفال وأدوية المرضى .. وقفز بعض هؤلاء على الصناعات الناجحة والمثمرة تحت ستار الاستثمار مثلا : صناعة البطاريات كانت البطارية تباع بـ ٣٠ و٣٥ جنيها .. فجاء ممثلو الشركة الانجليزية واتفقوا على تطوير صناعة البطاريات .. وكانت بنود هذا التطوير تنص .. على الآتى :

- اغلاق مصنع البطاريات الحالى (بوليدن) .
- ضم المصنع الحالى إلى المصنع الجديد أو جعله أساساً له ..
- منع إقامة مصانع جديدة للبطاريات .
- أى مخالفة لبنود هذا العقد لاتختص المحاكم المصرية بالنظر فيه .

ونزل الانتاج الجديد من البطاريات بنفس المواصفات القديمة ، مواصفات مصنعنا القديم (بوليدن) ولكن بسعر ٩٥ جنيها للبطارية و يصل السعر الحالى للبطارية الكبيرة الى ١٥٠ جنيها .. وكما كانت فترة الضمان فى البطاريات القديمة سنة فإن البطاريات الجديدة لانفس المدة ..

وهكذا أصبح من حق الشركة الجديدة تصدير جزء من الأرباح إلى الخارج .. ومعاملة العمال طبقاً لمصالح الشركة لا طبقاً للقوانين المصرية .. ولا يمكن أن أسمى هذا إلا ضربا لصناعة البطاريات المصرية لصالح الشركة الاستثمارية .

وما حدث فى البطاريات حدث فى صناعات أخرى عديدة .. منها صناعة الأدوية ، فالشركات الاستثمارية التى أنشئت استطاعت بطرق مختلفة

الاستيلاء على اصناف من الادو ية تنتجها ــ فعلا ــ المصانع الوطنية الحالية التى تـملكها الدولة .. والتغيير الوحيد الذى حدث أو التطو ير الوحيد الذى حدث هو التغليف الجديد لهذه المنتجات بأغلفة جديدة ملونة وجذابة مع ز يادة السعر ! !

هـذا هـو « النهب » الاستثمارى الذى تحمست له بعض الفلول العائدة تحت ستـار حـر يـة الـقـطاع الخاص وحقوق القطاع الخاص .. وأصبح القطاع الخاص والـتـقـرب إلـيـه .. هـو الـقـر بان الـوحـيـد الـذى يـقدمه كل وز يرجديد ليبقى وإلا إنـفـتـحـت الـنـار عـلـيه من كـل حـدب وصـوب واتهامه بالعودة الى سياسة الانـغـلاق . كـنـا نحذر من وقـوع هذا .. وكنا نقول انه لابد من حماية الانجازات الوطنية .. ولكن ها هى الانجازات الوطنية تتسرب من بين أيدينا ونحن نتفرج ..

والـزحـف مـسـتـمـر على بـاقـى الانجازات .. فرصة أن تحصل على شىء ، ان تـسـرق شـيـئـا ، فـرصة أن تنهب شيئاً .. القارب يغرق فأسرع بشىء خذه معك .. وانج بنفسك .

صـحـيـح ان الـدولـة ضـد الفساد .. وقيادتها ضد الفساد .. ولكن ماذا تفعل الدولة وأجهزة الأمن والرقابة والمتابعة ؟ ! ! إنه مجتمع الصدفة .. العمل فيه عيب ، الـفـقـر عـيـب .. الانـتـاج لـلمجتمع عيب .. والفضيلة الوحيدة هى « الشطارة » و « تفتيح الذهن » .

ذهبتُ أشترى قطعة من اللحم البارد المطبوخ من الدجاج ــ كما يقولون ــ من أكبر سو بر مـاركـت بـشـارع عـرابـى بـالمـهـندسين فوجدت تار يخ الصلاحية قد إنتهى .. فـلما راجعت البائع المسئول كان همه الوحيد ليس معالجة الأمر بالتخلص مـن الانـتاج الذى انتهى تار يخ الصلاحية فيه .. والاعتذار عن هذا الخطأ ، ولكن كان الرد ، أن هذا هو الموجود و « اعمل اللى تقدر عليه » ! !

والـغـر يـب أن فـلول الفساد برعوا فى خلط الأوراق ، فهم يقولون ان ما حدث ومـا يحدث مـن مـصـائـب لـيـس نتيجة لشهيتهم المفتوحة على أكل المال العام إنما بسبب أن الناصر يين أورثونا الحرمان !

لـقـد واجـهـتـنـا فى الـسـبـعينيات عادة ذميمة هى الخجل من الفقر .. فالفتاة تـنـحـرف خـوفاً من الفقر ، والموظف يرتشى خوفاً من الفقر .. والشاطر يبيع الترام

ليغتني ، لاندرى كيف تلوثنا بهذه العادة الذميمة ، عادة الخجل من الفقر، الفقر ليس عاراً ، بل الخجل من كوننا فقراء هو العار .. تعلموا أيها السادة أن ترفعوا رؤوسكم أمام الأغنياء وأن تقولوا لهم انكم أفضل منهم ، لأنهم أغنياء بسبب فقركم وأنهم كذلك لأنهم يسرقون جهدنا وجهد أمثالنا الكادحين .. إذن فنحن حقاً في محنة ..

ومن أجل كل هذا فنحن ندعو لجنة الأحزاب إلى الاجتماع لتطبع ختم النسر على حزبنا دون انتظار للقضاء الذى نثق به كل الثقة ...

إن المهام العاجلة التى أمامنا كثيرة وأولها هى حماية انجازات يوليو الجيدة دون الدخول فى تفاصيل كثيرة حول من يجب أن يقود الحركة الناصرية ..

نحن نرى أن كثيراً من الأصدقاء قد أدى ومازال يؤدى خدمات عظيمة للحركة الناصرية دون النظر إلى هذا أو إلى ذاك .. أو إنتظار جزاء أو ثواب ..

انني ــ مثلاً ــ أرى أن محمود السعدنى الذى مازال يحمل معولة ليهدم أصنام قوم إبراهيم و يكشف العلاقة المشبوهة بين الوفد و بين بعض أجنحة الحزب الوطنى لكتم أفواه الناصريين أرى أنه أشرف ألف مرة من أى زعيم أو داعية ينتظر تصفيقا من الناس ليخطب .. او يدلى برأيه .. أو يتكرم بالنزول إلى الجماهير..

أرى فى محمد فايق الذى كان وزيراً للإعلام فى عهد عبدالناصر والذى يدير داراً من أكبر دور النشر فى مصر .. تلك الدار التى نشرت سلسلة من الكتب والدراسات عن الناصرية والحركة العربية .. والفكرة القومية .. أراه أكبر وأشرف ألف مرة من هؤلاء الذين مازالوا يتشدقون بالكلام على ناصر.. والناصرية والذين يسترزقون بها ..

وأرى فى ضياء داود عضو اللجنة التنفيذية العليا فى عهد عبدالناصر مثالاً فريداً للتحدى والعمل المثابر الدءوب للدفاع ضد الأكاذيب والافتراءات على ثورة يوليو وزعيمها عبدالناصر..

إن فى مصر جبهة من الناصريين يؤدون عملهم فى صمت بشرف وأمانة .

وهذا هو السر فى أن مصر باقية حتى الآن .. وهذا هو السر فى أن الفساد أو مايمكن أن نسميه بقوى الثورة المضادة ضعيفة داخل الوطن أمام اجماع الجماهير وأمام وعيها لكن كما يقول عبدالناصر : إن أخطاء الثورة وقصورها فى بعض الأحيان هو الذى يعطيها — أى للثورة المضادة — تبرعاً و بغير داع أسباباً إضافية تنفث من خلالها سمومها ..

ومن أجل هذا .. نحن نطالب باجتماع لجنة الأحزاب لكتابة شهادة ميلاد الحزب الناصرى ليبدأ دوره فى الساحة من جديد .. و يسهم فى حماية انجازات يوليو التى تر يد قوى الثورة المضادة تبديدها ليخلولها الجو..

● لماذا سكت الوفد على الفساد .. ؟

لا يدخلن فى روع الناصر يين الجدد أن الهجوم الحاد من بعض الأحزاب على ثورة يوليو ناشىء عن وعى حقيقى بحقائق الحاضر والرغبة فى التقدم نحو المستقبل ..

ونحن لانلتفت كثيرا إلى أمثال هذه الصرخات لأننا نعرف مصدرها هناك حيث يقف الوفد الذى لم يتقدم إلا عدة أعوام ، من عام ١٩١٩ عام الثورة إلى عام ١٩٢٤ العام الذى تولى فيه الزعيم سعد زغلول رئاسة أول حكومة وفدية تطبيقا لدستور٢٣ .. بعدها لم يتقدم الوفد إلى الأمام .. ظل هناك فى سنة ١٩٢٤ ..

وللناصر يين الجدد رأى واضح وصر يح وقاطع فى الوفد ــ الآن ــ وأنه يختلف تماما عن وفد مابعد ثورة ١٩ .. وما بعد ثورة ٢٣ يوليو .. وهذا لا يعنى رفض الواقع إنما يعنى التطوير والتغيير والانتقال من واقع مضى عليه عشرات السنين الى واقع حاضر .. ومستمر وممتد إلى الغد وإلى المستقبل .. ذلك لأننا نؤمن بأن الذى يتجمد عند زمن معين لا يتسع له المكان .. وكما نقول بأن الناصر ية الدوجماتية لاتصلح للوقت الحاضر ولا للواقع المعاش وأننا نأخذ مبادئها العامة نبراسا لنا .. ونحمى انجازاتها ونسترد مافقد منها وهذه ضر يبة علينا وعلى كل هذا الجيل .. ان نسترد له مافقد بفعل الجمود والتحجر والتردد والنهب .. ونقول أيضا أن الوفد الذى تولى الحكم سنة ١٩٢٤ لأول مرة لايصلح الآن لأن يتشوق للحكم ..

ولايدلى بدلوه فى رسم سياسة هذا البلد .. وليس من حقه أن يقول هذا يصلح وهذا لايصلح لأنه يعيش بعقلية أوائل هذا القرن .. وهى عقلية قد تصلح لمناهضة السراى ولعب البريدج مع المندوب السامى البريطانى .. ولكنها لاتصلح لقيادة أمة عظيمة واجهت الاستعمار البريطانى .. وواجهت «اوليجاركية» أوروبا المالية والعسكرية متمثلة فى اسرائيل .. وخاضت عدة حروب ولم تنكسر ارادتها .. ولم تركع .. سخروا منها وقالوا انها لن تصمد ، لكنها صمدت وما الصرخة التى أطلقها حسنى مبارك بضرورة عودة كلمة «صنع فى مصر» إلاقنبلة فى وجه الذين يتتظرون كسر ارادة مصر، وموت صناعتها .. ودفن انتاجها وبوار أرضها ..

● عصر جديد :

نحن فى عصر آخر ..

لسنا فى عصر الشعارات التى كانت تقول : الاستعمار على يد هذا ولا الاستقلال على يد ذاك .. لسنا فى عصر الزعماء الذين يقبلون أيادى الملوك والحكام .. ولاعصر الذين يتغاضون و يغمضون أعينهم ثمناً لبقائهم فى مناصبهم ..

وفى التاريخ القريب لحزب الوفد أمثلة كثيرة على أن هذا العصر لايشبه ذاك العصر ..

ففى ديسمبر سنة ١٩٥١ وأثناء حكم الوفد عين الملك فاروق حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكي .. وكان هذا المنصب شاغرا منذ عام ونصف ولم تكن هناك أسباب واضحة لشغل هذا المنصب وخاصة من شخصية مكروهة شعبياً مثل شخصية حافظ عفيفي .. الذى كان رئيسا لبنك مصر .. وكان الوفد يعرف أن سبب هذا يرجع إلى أن الملك يريد اخلاء منصبه هذا ليشغله الياس أندراوس أحد رجال حاشيته فى بنك مصر .. وكان اندراوس هذا يتمتع بسمعة جيدة جداً وخاصة فى عمليات النهب التى قام بها الملك فاروق فى صفقاته الأوربية لشراء الأسلحة !

كل المعارضين استنكروا هذا النقل والتبادل عدا الوفد فقد لزم الصمت!

وأسلوب الصمت أسلوب متعارف عليه لدى الوفد فهو فى الحكم صامت.. خارج الحكم له ألف لسان ولسان.. وقد تصادف مثلا أن تولت حكومة الوفد الحكم اثر فضيحة الأسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين وكان من المعروف أن الملك وحاشيته والمقربين إليه قد شاركوا فى الاتجار بالأسلحة ولم تكن هذه معلومات سرية انما كانت معلومات شائعة يعرفها الخاص والعام خاصة أن النيابة العامة كانت قد وضعت يدها على خيوط هذه الفضيحة واكتشفت ـ أيضا ـ أن الملك فتح حسابا خاصاً لأرباحه من تجارة السلاح فى البنك البلجيكى الدولى باسم أدمون جهلان..

• المحسوبية والفساد :

فى هذا الوقت الذى كانت حكومة الوفد فى الحكم وكان المفروض أنها فى حالة تعبئة تامة بعد الغاء المعاهدة و يذكر المؤرخ عبدالرحمن الرافعى فى كتابه «مقدمات ثورة ٢٣ يوليو» أن حكومة الوفد لم تستجب لدعوة الوحدة الوطنية التى طالبت بها المعارضة، وانتهزت فرصة انشغال الأمة بالكفاح فى القتال ومضت فى سياستها القائمة على الفساد والحزبية فاستمرت تفصل العمد والمشايخ الذين كانت ترى فيهم عدم الولاء للوفد، ومضت فى سياسة المحسوبية فى الوظائف وما إليها، فكانت مرتعاً للأقرباء والاصهار والأنصار، واستمرت الصفقات المريبة فى بيع أملاك الحكومة أو تأجيرها، واغداق أموال الدولة على الاشياع والمحاسيب..

«.. وفى الوقت الذى كان المجاهدون الفدائيون يسقطون شهداء فى ميدان الجهاد والتضحية، كان الكثيرون من نواب الوفد وشيوخه يتغلغلون فى المصالح والدواوين فى القاهرة والأقاليم، عاملين على تحقيق مطالبهم ومطالب أشياعهم وأنصارهم على حساب المواطنين، ولم يسهموا بأى مجهود أو تضحية فى معارك القتال، وكان جل همهم أن يتحسسوا مدى تأثير هذه المعركة فى مركز وزارتهم، كانما بقاء وزارة الوفد فى الحكم هو الهدف الأكبر للقضية الوطنية»..

● صفقة الذخيرة ..

إن كل الذى فعلته حكومة الوفد فى المعركة المسلحة بالقنال ويحمد لها بلا شك هو أنها تعاقدت على شراء ١٢٥١٢ صندوق ذخيرة من سو يسرا تحتوى على ١٥٠٠ ألف طلقة للبنادق (!) وكان المفروض أن تصل هذه الذخيرة الى جنود بلوكات النظام الذين يواجهون القوات البر يطانية .. لكن هذه الذخيرة لم تصل إلى الجنود ...

وفى هذا الشأن فقد روى الذين عاصروا هذه الفضيحة أن حكومة الوفد تعاقدت مع شركة المساجيرى مارتيم الفرنسية لنقلها على بواخرها إلى ميناء الأسكندر ية وبالفعل كلفت الشركة التى يساهم فيها اليهود بأكثر من ٥٠٪ وحكومة الوفد تعلم ذلك — بالطبع — كلفت الشركة قائد الباخرة شامبليون بنقل الشحنة .. وبالفعل أبحرت الباخرة الى ميناء حيفا أولا حيث أفرغت الشحنة .. ثم واصلت سيرها إلى الأسكندر ية .. وهناك فى الميناء استقبلها مندوب من وزارة الحر بية بصحبة عدد من اللور يات لحمل الشحنة .. لكن المندوب فوجئ بأن الباخرة خالية .

و يعلق المؤرخ عبد الرحمن الرافعى على هذه الفضيحة قائلاً :

« كان الأحكم أن تشحن الحكومة هذه الذخيرة على باخرة مصر ية لكى تضمن ألا تسلمها الباخرة الأجنبية غدرا وبطر يق التواطؤ إلى إسرائيل .. ولكن اهمال حكومة الوفد جعلها تترك الاحتياط والحذر جانبا وتضيع على البلاد هذه الذخيرة القيمة » .

فتح الملفات ..

فتح الملفات ليس شيئا واردا بالمرة ، فما قصدنا إليه هو أن المرض الذى يصيب الأحزاب هو انها تظن نفسها خالدة وأن الجماهير تسير وراءها وهذا هو الوهم الذى .. يخالف الواقع .

الواقع الآن يختلف عن الواقع المعاش قبل يوليو سنة ١٩٥٢ .

لم يعد هناك ملك فى قصر عابدين بل أصبح القصر مركزا للحكم .. ، ومصر أصبحت جمهورية ، والنظام السياسى تغير .. ، واختفى الـ ٨٠ ألف جندى بريطانى من مدن القناة .. والقناة نفسها أممت .. ، ولم تعد الملكية الخاصة هى الشكل الوحيد للملكية .. بل أصبحت الملكية ثلاثة أشكال ملكية عامة وتعاونية وخاصة .

وقامت ثورة ٢٣ يوليو فغيرت علاقات العمل والانتاج .. ، فقد ضرب الاقطاع فى الصميم وتحطمت سيطرة رأس المال على الحكم .. ، وأخذت طبقتا العمال والفلاحين مكانها .. وسارت البلاد فى طريق الاشتراكية ، ودعا زعيم الثورة جمال عبد الناصر إلى الوحدة العربية وبعثت القومية العربية من جديد فى المنطقة وأصبح للعرب اسم وعلم ونشيد يسمعه العالم كله .. ، وقد تطور هذا النظام السياسى على مر الأيام وانتقل من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية .. وتعددت الأحزاب وأصبحت الصحف حرة ..

• ٢ مليون جنيه للملك ..

فرق كبير بين عام ١٩٥٢ وبين عام ١٩٨٦ ، عمر كامل ، ٣٤ عاما مرت ، لا يمكن اسقاطها .

فى عهد حكومة الوفد الأخيرة لكى تأخذ الشركات من الحكومة ما تريد من امتيازات كان على الشركات أن تدفع ، فشركة سعيدة للطيران أخذت عام

(١٩٥١) ١٣٠ ألف جنيه كإعانة على الرغم من ثبات فساد ادارتها .. وكان الثمن الذى دفعته أن قدمت عدة مئات من الأسهم هدية لجلالة الملك .

فلماذا صمتت حكومة الوفد عنه .. ؟

كان الملك يطلب من الحكومة بناء القصور وصيانتها وتجميلها وتأثيثها .. وتدفع الحكومة الملايين بدون كلام ..

كان جلالة الملك لا يدفع ضريبة الايراد العام المستحقة عليه للدولة ولا يدفع الرسوم الجمركية على سياراته ، لقد بلغ المستحق عليه فى عام واحد أكثر من مليونين من الجنيهات .. ومع ذلك صمتت حكومة الوفد عنه .. لماذا . ؟

لقد استولى الملك على كثير من أراضى الأوقاف بطرق غير مشروعة وطرد نظارها وبلغت مساحة هذه الأراضى أكثر من ٥٠ ألف فدان منها وقف شاده ووقف الخديوى اسماعيل المعروف بتفتيش الوادى .. الخ .

وفى أوائل عهد حكومة الوفد بالحكم قبل الثورة طلب جلالة الملك منها صرف مرتبه لمدة سنة مقدما واستجابت له الوزارة .. فما ثمن هذه الاستجابة .. ؟

والأكثر من ذلك أنه طلب من الوزارة أن تحول له هذا المبلغ الى دولارات وترسله إلى أمريكا فأطاعت الوزارة فى وقت كانت مصر فى أشد الحاجة إلى العملة الصعبة .

وقد ثبت فيما بعد أن مقدار ما أودع باسم الملك فى البنوك الأمريكية يزيد على عشرة ملايين دولار .. ، وقد قامت الدنيا وقعدت عندما ادعى جلال الحمامصى أن الرئيس عبدالناصر قد تسلم شيكا من احدى الدول وأودع بالبنك الأهلى فى حساب الدولة بعد وصوله بأسبوع أو شيء من هذا القبيل .. لقد كان الهدف هو تلويث اسم عبدالناصر .. وقد حمد الوفد لجلال الحمامصى ما كتبه عن ذمة عبدالناصر وفتح أبوابه له .. وهو الكاتب الذى صنع الكتاب الأسود ضد الوفد ، جال الوفد .

• سيف الامبراطور..

إن الوفد يتحدث كثيراً عن ذمة رجال الثورة، كما يثرثر أكثرعن بعض أفراد أسرة عبدالناصر الذين استطاعوا تكوين ثروات مثل أشرف مروان وغيره.. كانما الشراء وقفا على الآخرين وليس من حق أحد من أفراد أسرة عبدالناصر.. وبصرف النظرعن انتماء أشرف مروان فكريا إلى عبدالناصر أو السادات.. فإنه لايحسب على ثورة يوليو ولايحسب — فى تقديرى على الناصرية — ليس لأنه ثرى وليس لأنه أصبح يقف فى صف طبقة أخرى ليس من صالحها التطبيق الاشتراكى الذى دعا إليه عبدالناصر.. إنما لأن الانسان لايؤخذ بجريرة أحد غير نفسه.

وقد يكون من اللائق فى هذا المقام سرد حادثة وقعت فى فبراير سنة ١٩٥٣.. فقد استدعى أحد رجال الثورة السفير الايرانى بالقاهرة وسلمه سيف الامبراطور بهلوى حيث عثر عليه فى قصر القبة أثناء جرده.

لقد توفى الامبراطور بهلوى أثناء رحلة له فى جنوب أفريقيا ونقل جثمانه إلى مصر حيث دفن فى مقابر الأسرة المالكة ووضع سيفه دينا شينه فى تابوته.. وعندما أرادت حكومة ايران نقل جثمانه الى طهران اكتشف سفيرها فى القاهرة أن السيف والنياشين قد اختفت.

ووقع فى روع السفيران أحد أفراد الحاشية الملكية قد استولى على السيف والنياشين وطلب اجراء تحقيق.. إلاأن السلطات المصرية «طنشت» فقد كانت النياشين والسيف قد دخلا فى حوزة جلالة الملك المصرى إلى أن قامت ثورة يوليو.. وقامت لجنة بجرد محتويات قصر القبة وعندئذ عثرعلى السيف والنياشين.. فاستدعى السفيروردت إليه.

فلماذا يتذكر الوفديون الغارقون فى رفاهيتهم ما يزعمونه بشأن المقتنيات الملكية وينسون أن ثورة يوليو كانت منذ يومها ترد الحقوق لأصحابها..

إن هؤلاء البورجوازيون الذين تسبقهم بطونهم يصابون بذعر أبدى عندما يسمعون رنين أجراس ثورة يوليو.. يتصورون ــ رعبا وخوفا ــ أننا سنهبط عليهم كقراصنة ذات اردية سوداء نستل أرواحهم. لكننا لا نفعل..

لا نفعل .. لا عن طيبة أو رغبة فى السلام أو هدنة مؤقتة .. بل لا نفعل عن وعى كامل وتجربة عميقة ومعرفة أكيدة بأن الوفد الحالى هو الوفد الماضى، القديم وأن مايصدر عنه انما يأتى من وراء التاريخ الذى راح وانقضى .. وأن هؤلاء الرجال الذين يقودون الوفد وان كانوا يمتازن بطيبة القلب وسلامة القصد إلا أنهم ينتمون إلى عصر آخر.. ليس بالتأكيد هو هذا العصر الذى نعيش فيه.

إن الوفد الجديد ليس له وجود .. والموجود حاليا هو الوفد القديم بكل أفكاره ومعتقداته .. ومن الطبيعى ــ لهذا السبب ــ أن يكون على غير اتفاق مع ثورة يوليو وأن يكون ضد انجازاتها وأن يصم كل عمل من أعمالها بالفشل حتى السد العالى الذى أنقذ البلاد من الجفاف وضمن رى ٢ مليون فدان رياً دائما .. ومكن البلاد من الحصول على طاقة كهربائية وصلت إلى ١٠ مليارات كيلوات ساعة سنويا .. وصنع بحيرة ناصر الضخمة التى تمد القاهرة والمحافظات بكل أنواع الأسماك .. حتى هذا السد قالوا عنه أنه بنى على شرخ فى الكرة الأرضية .. لماذا يقولون هذا الكلام وهم يعرفون كذبه .. ؟ .. لأن السد العالى أقامته ثورة يوليو و ينتسب إلى عصر عبد الناصر.

إن تجربة الوفد هامة جداً للناصريين الجدد .. انها تثبت تماما أن من يتخلف عن الواقع الذى تعيشه الجماهير.. ينفصل عنها، ومن ينطق بقوانين الماضى ترفضه قوانين الحاضر.. ومن لم يتغير يتجمد .. ومن لم يتعلم يتخلف .. وهذا هو قانون الحياة والوجود.

• انتهى عصر القبائل !

تألم عدد كبير من الناصريين لأننا استخدمنا تعبير « الناصريون الجدد » ضد « الناصرية الدوجماتية » مما يعنى فى نظرهم انقساما فى الحركة الناصرية .. فى مرحلة مد رجعى شرس يأخذ سلبيات بعض عناصر النظام خلال فترة الستينيات سلاحاً ورأس حربة للهجوم على ثورة يوليو .. وعلى الناصرية بصفة عامة .

وهم يقولون : انه فى كل حركة سياسية تظهر أفكار وآراء تختلف وتتناقض ، بل وتتحول الى تيارات تتخذ شكل أجنحة لليسار وأجنحة لليمين والوسط المحافظ وأجنحة للتطرف والعنف .. و يدللون على ذلك بأن الوفد نفسه منذ تكوينه فى سنة ١٩١٩ كان يضم أجنحة ثورية وأجنحة رجعية .. وكان به فريق محافظ وفريق متقدم . وكان به تنظيم سرى يقوده أحد نواب الوفد عن دائرة باب الشعرية وهو الدكتور شفيق منصور .. وهو الذى خطط عملية اغتيال السردار فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وأدى هذا الحادث إلى استقالة أول وزارة وفدية برئاسة الزعيم سعد زغلول .

وكان بالوفد غلاة الرجعيين بعد الحرب العالمية الثانية وكان به أيضاً الكثير من العناصر الثورية والتقدمية .. ويمكن القول أن الوفد كان يضم فؤاد سراج الدين و يضم ــ أيضا ــ الدكتور محمد مندور .. وهما على طرفى نقيض :

وحزب الوفد هو الذى قدم للبرلمان مشاريع تكميم الصحافة . وحزب الوفد ــ أيضا ــ هو الذى رفض هذه المشاريع .

وعندما عاد حزب الوفد الجديد ظن عدد كبير من الوفديين ومن المتعاطفين معه ومع تاريخه الشورى انه يمكن أن يتسع و يضم كافة العناصر الوطنية وكافة

الفصائل ، وبما أنه كان — طبقا لقانون الأحزاب — يؤمن بثورة يوليو ومبادئها .. فإنه من الممكن أن يضم ثواراً من يوليو ويحتضن شريحة من الناصر يين أيضا .. لكن الوفد فاجأ الجميع منذ اليوم بأنه يختلف مع ثورة يوليو بمقدار ١٨٠ درجة .. فالذى عاد ليس الوفد القديم كله .. إنما شريحة منه أو تيار ، وهو التيار المعادى للتغيير المناوىء للانجازات التى تحققت خلال الأعوام الثلاثين الماضية ..

والحقيقة — بالطبع — ضائعة فى هذا الخلط المتعمد للأوراق لأن الوفد الحالى هو التيار المعادى لتحديد الملكية الزراعية .. المعادى لتحرير الاقتصاد من التبعية .. المعادى للقطاع العام .. المعادى لحقوق العمال والفلاحين .

إنه « وفد » الاقطاع والرجعية والرأسمالية الانتهازية المستغلة والتجار الجشعين .. والاستثمار الاستنزافى .. والانفتاح الاستهلاكى .

وعودته لاتعنى بأية حال المشاركة فى الحركة السياسية واثراءها بل تعنى الانتقام من ثورة يوليو ومحاولة العودة بالمجتمع الى ماقبل يوليو سنة ١٩٥٢ .

● بركة
جلالة الملك :

كذلك فإن حركة الإخوان المسلمين لم تكن نسيجا واحداً يضم المؤمنين بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر. ولكنه كان — أيضا — يضم الذين يريدون الحكم والسلطة والذين يريدون الثراء .. والذين مع الجمود والذين ضد الجمود .. والمحافظين والتقدميين — أيضا — وكان فى الاخوان فريق مع الحكومة يركع لها .. و ينال البركة من جلالة الملك المفدى . وفريق لايركع إلا لله الواحد القهار..

هذه التيارات والأجنحة من الظواهر الصحية داخل الحركات السياسية والأحزاب الليبرالية لكنها فى الحركة الناصرية وفى هذا الوقت بالذات الذى لم تأخذ فيه الحركة الناصرية شرعيتها القانونية بعد . تصبح ظاهرة غير صحية ودليل انقسام وفرقة .. وهم يقولون أن هذا الاختلاف سمة كل حركة سياسية وكل حزب ولاغبار عليه .

• المجتمع القبلى :

ونحن نختلف تماما فى هذا الرأى لأننا نعتبر آن هذا المنطق هو المنطق القبلى المتخلف ، فالقبلية فى الزمن الغابر كانت تضم رئيس القبيلة أو الجد الأكبر وحوله الأبناء والأحفاد والزوجات كان بالقبيلة الخير والشرير، البرىء والقاتل، الطيب واللص .. وكان الجميع يعيشون جنباً إلى جنب إلى أن جاء الوقت الذى إجتاح الغزاة أملاك القبيلة وقبضوا على أفرادها وحولوا رجالها إلى عبيد ونسائها إلى سبايا وسادت القوة .. وتحول المجتمع إلى الاقطاع .. ومن رحم هذا المجتمع ولدت الرأسمالية ..

المجتمع القبلى محكوم عليه بالاندثار، لم يعد من الممكن أن يتعايش الخير والشر فى مكان واحد لأن أحدهما لابد أن ينتصر على الآخر..

يقال أن هناك لونا رمادياً بين الأبيض والأسود وهذا مايجعل القبيلة تتعايش سوياً . هذا يتغاضى عن ذاك ، وذاك يغمض عينيه ، و يصم أذنيه عما يفعله هذا .. وهكذا .

نحن نقول أنه لا مجال ــ أيضا ــ للون الرمادى .. لأن القبيلة يجب أن تذهب إلى الماضى الذى جاءت منه .. ويجب أن يكون لكل حزب لون واحد يرفع علمه وشعاره .

ان المنطق القبلى يرتبط أكثر بالنظام الملكى فى بلاد العالم الثالث فالملك له أسرة كبيرة ، والاسرة لها املاك وثروات ومصالح ، والاسرة تضم شجرة كبيرة هائلة لها جذوع وأصول وفروع وأوراق .. وكل لابد أن يغنم شيئا ، وأن يحصل على شىء ، اى شىء ، أرض أو طعام أو بخور أو نساء .. الخ ..

وفى النظام الملكى ذات الملك مصونة لا تمس ، مقدسة فوق النقد .. وتنعكس هذه القدسية ــ الى حد كبير ــ على العائلات الكبيرة فى المجتمع وعلى الوزارات وعلى المقربين للعائلات الكبيرة الاقطاعية ولذا كان الملك يمنح الالقاب التى

تفتح لاصحابها أبواب المجتمع الراقى وتذلل المصاعب ، و يدخلون بواسطتها حصون الطبقة العليا ليصبحوا من فرسانها .. وهذا هو الاصل التاريخى للباشوات والبكوات .

● عم عبد الناصر والارض :

وعندما جاءت الثورة كان عبد الناصر حريصا على الحد من عدوى هذا المرض ، مرض القبلية وبدأ بنفسه فقد جاءه ذات مرة أحد أعمامه ليشكو اليه ان الجمعية التعاونية قد أخذت من أرضه ... البالغ مساحتها ٦ قرار يط فى بنى مر لاقامة مبنى الجمعية وطلب من عبد الناصر أن يتدخل ليأخذوا ماير يدونه من أرض أخرى .. وسأله عبد الناصر.

● ولماذا لاتريد اقامة الجمعية على أرضك ؟

ــ لانها ارضى .. انهم يقتطعون جزءا من أرضى .. لماذا لايقتطعون من أرض اخرى ؟ ..

فعاد عبد الناصر يسأله :

● ولماذا لايقتطعون من أرضك ؟

ــ لأنه ليس من المعقول أن يحدث هذا وابن أخى هو جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية ؟

وصاح فيه عبد الناصر وهو ينظر اليه بغضب :

● بل لابد أن يحدث هذا لانك عم جمال عبد الناصر، اذا كان هناك امتياز فلايجب أن نحصل عليه أو نبادر الى « التكويش » عليه .

بل لابد أن نتخلى عن أى امتيار.

ثم عاد عبد الناصر يسأله بعد أن تمالك نفسه :

● وكيف صدر قرار تخصيص قطعة من أرضك لاقامة الجمعية ؟

ـ أجتمعنا نحن أعضاء الجمعية ورأى الاعضاء أن مكان الارض مناسب .. واخذوا الاصوات وكانت بالاجماع .

● وهل تريد أن تنقض قرارا صدر بالاجماع وانت فرد ؟ !

وأقيمت الجمعية التعاونية الزراعية على أرض عم جمال عبد الناصر ببنى مر ..

● أولاد عبد الناصر:

ثم كانت الحادثة الثانية عندما لم يحصل أحد ابناء عبدالناصر على المجموع فى الثانوية العامة الذى يؤهله للدخول فى الكلية التى يريدها بالجامعات المصرية .. فما كان منه ألا ان طرق أبواب الجامعة الامريكية التى دخلها بالمصاريف ..

وكان يمكن لعبد الناصر أن يرفع سماعة التليفون و يطلب من وزير التعلم استثناء ابنه أو ابنته ..

ولايسع الوزير إلاّ ان يوافق و يزعم أن هذا شرف له وتكريم للعلم وللجامعة .. لكنه لم يفعل .. ولم يكن فى استطاعته ان يفعل لان جمال عبد الناصر لم يكن قبليا ولان الامتيازات والاستثناءات من مخلفات مجتمع القبيلة . ولذا فعندما تغير الوضع وبدات الرأسمالية فى السبعينيات تطل برأسها من خلال الانفتاح الاقتصادى .. بدأت سمات القبيلة تعود من جديد وتحولت مؤسسة رئاسة الجمهورية الى عائلات وأسرات ترتبط مصالح افرادها مع بعضهم ارتباطا وثيقا .. وكما كان ملوك اوروبا يوطدون أواصر الصداقة والتحالف السياسى بالزواج والمصاهرة .. حدث مايشبه ذلك بين عائلات السادات وعثمان احمد عثمان وسيد مرعى ، وغيرهم وغيرهم .. وهذا ماكان يحذر منه عبدالناصر .. لقد بدأ مرض القبلية يستشرى .

وانعكس هذا المنطق القبلى وهذه السمات القبلية على الكثير من الوان حياتنا .

وليس غريبا أن أول محاكمة عن الفساد بعد وفاة السادات ، كان المتهم فيها هو شقيقه وافراد اسرته .

إنه مرضى القبيلة .

فى الاسرة يجوز أن يسود المنطق القبلى .. فى الحكم والسياسة هذا المنطق مرفوضا تماما .. لا لأنه سيء فقط ، ولا لأنه ضار انما لانه ينتمى الى عصر انقرض تماما .

● **تجديد ... شباب يوليو....**

التوفيق والتوافق والتهاون .. بحجة أن هذا يعنى انقساما وشرخا فى الحركة الناصرية فى وقت نحن فى أشد الحاجة الى وحدتها وقوتها لمواجهة الهجمة الشرسة على ثورة يوليو - الان على الاقل - حجة لا سبيل الى الاخذ بها .. لأنها رجوع الى الوراء وعودة الى القبلية .

ومايجب الآن ونطلبه .. هو ان يحدث التغيير فى الحركة الناصرية ، والتجديد لشبابها .

وكما قال عبد الناصر ان على ضباط يوليو ان يذوبوا بين الجماهير وفى الحياة المدنية .. ولم يكن عبد الناصر يعني أن يخلعوا الكاكى .. فقد خلعوه منذ وقت طويل .. انما كان يريد أن يقول لهم أنه لا امتياز لثائر ، لانه اشترك فى ثورة يوليو... ولا لضباطها لانه ينتسب الى الجيش الذى خرجت الثورة منه .. انما الجيش هو جيش الشعب .. ابن الجماهير .. فيجب أن يعود الى اصله .. هذا هو المعنى أمّا المعنى الأهم فهو الرفض الحاسم للنظرية القبلية .

● ما أخذه بالقوة ...

كان عبد الناصر صريحا مع زملائه ، لا يلتفت ولايتراجع .. وكان الاعداء يتربصون به حتى لايرى شعب مصر فجرا جديدا .. وكنا نحن ، المصريون على يقين اننا لن ننام على ضيم ، لانه — أى ناصر — لن يدع دماء الناس وأرواحهم تضيع سدى ... ومن هنا استجاب للملايين التى تمسكت به ليبقى بعد يونيو سنة ١٩٦٧ ، وكانت الجماهير تعلم بحدسها وحسها انه اذا جرح انقلب الى نمر ومن الصعب اقناعه بغير الانتقام كان هذا هو القائد المعبر عن أصالة الشعب المصرى ، والشعوب قد تخسر معركة ، بسبب الخيانة والفساد والاهمال ومافيا السلطة .. والشللية .. قد تنهزم فى حرب .. انما لاتنكسر ارادتها .. وهكذا ظلت هذه الارادة مشرئبة الى أن جاء عام ١٩٧٣ ، وتحقق الانتصار.. وكان هذا ترجمة حرفية لمقولته الشهيرة أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » .

نعم .. فى المسار العظيم لثورة يوليو كان هناك ضباط ، نعم .. لكنهم كانوا يعيشون الثورة و يعيشون مبادئها .. وأفكارها .. وكان هناك غيرهم ، كل همهم أن يستنزفوا قوى الثورة و يعوقوا تقدمها .. انضموا دون ان يعرفوا الى الثورة المضادة .. الى التيار المعاكس للمجتمع .. وفى كل ثورة يحدث هذا .. يحدث ان يتخلف فريق عن الثورة ، يتعب ، يكل ، لا يتمكن من مواصلة السير.. كالصائم الذى فى قلبه مرض .. مايكاد ينتصف النهار حتى يتوارى و يلتهم كمية من الطعام و يزعم انه مازال صائما ينتظر الافطار.

كم من الضباط زعموا انهم من الضباط الاحرار ثم انكشفوا أنهم من أدوات الثورة المضادة .. وكما اراد الوفد أن يستخدم فى بداية الثورة بعض الضباط بحجة الديمقراطية لشطب قانون الاصلاح الزراعى .. وضرب الثورة ، كذلك استخدمت الثورة المضادة عددا آخر من الضباط للاساءة الى الجماهير لتلويث سمعة الثورة .

نحن اذن نريد أن نطهر ثورة يوليو من كل شىء غريب عنها ... و بالتالى لابد أن تتطهر الناصرية من كل أدران الماضى .

ان الناصرية الجديدة لاتعتمد على الاشخاص بل على المبادىء .. المبادىء التى تأخذ فى الاعتبار الواقع المصرى .. والواقع العربى .. والصراع العربى الاسرائيلى باعتباره صراع وجود لاصراع حدود .

ان الناصريين الجدد يملكون رؤية جديدة للمجتمع ، انهم لن يلتفتوا الى الماضى ليأخذوه كله .. بل ليأخذوا منه ـــ فقط ـــ البذور التى تصلح زراعتها فى أرض الواقع الجديد .

أن الرؤية الجديدة للناصريين تلهب خيال كل الشباب فى الوطن العربى لأنها تعبير متقدم عن أيامه المقبلة .. عن المستقبل .

المستقبل أمامنا ليس مظلما .. وليس مليئا بالعقبات .. والقوى المختلفة والمتخلفة والسلبية .. والفساد .. وكل جحافل الظلام لن تظل الى الابد لان فى قلب كل شاب فى هذا البلد قوى عظيمة .. خلاقة .. وهى قوة تتطلع الى المستقبل بثقة لاحد لها .

وفى النهاية ينبغى القول أنه مهما اختلفت فصائل الناصرية وتعددت شعبها فانها لايمكن أن تختلف على المبادىء الستة للثورة .. ولايمكن أن تختلف على الحرية والوحدة والاشتراكية .. ولايمكن أن تختلف على الانجازات وحمايتها والتقدم بها .

انما نختلف فى داخل حركتنا وبصوت عال يمكن أن يسمعه الجميع لاننا لانخاف من النقد ومن النقد الذاتى ، فالنقد سلاح يحمينا لا يقتلنا ..

نختلف على الظن باننا مازلنا فى بداية الثورة والديمقراطية يجب أن تكون مركزية .. ونؤمن تماما باننا فى السنوات الاخيرة من القرن العشرين والديمقراطية خبزنا وملحنا .

ونختلف على تحالف قوى الشعب العامل ونرى أن هناك قوى مسحوقة فى المجتمع كالموظفين وعمال القطاع العام والخاص .. وهذه القوى الجديدة لابد ان تأخذ مكانها فى التحالف ، وتتقدم العمال والفلاحين ، وهذا مجرد مثل لما نريده .. وهناك الكثير مما يجب أن نفعله ونقوم به .. وهذا مايميز الناصريين الجدد عن الناصرية الدوجمانية .

فهرست الكتاب

الموضوع | الصفحة

١ـ مقدمة ٣
٢ـ الناصريون الجدد .. والناصرية الجديدة ٥
٣ـ الناصريون الجدد ١٧
٤ـ اين يقف الناصريون ؟ ٢٥
٥ـ الحزب الذى يتسع للناصريين ٣١
٦ـ أغراب فى حزب التجمع ٣٧
٧ـ هل فات الأوان ٤٣
٨ـ روعة إحسان عبدالقدوس ٤٩
٩ـ تخويف النظام الخائن ٥٥
١٠ـ هل هناك خلاف .. ؟ ٦٣
١١ـ ٣٠ عاماً من الاصلاح الزراعى ٦٩
١٢ـ زملاء عبدالناصر ٧٩
١٣ـ الاكسودوس ٨٩
١٤ـ متى تحين ساعة ميلاد الحزب ؟ ٩٧
١٥ـ تعليق على كتاب ١٠٣
١٦ـ عبدالناصر والدين ١٠٩
١٧ـ الاخوان والوفد ١١٩
١٨ـ مقبرة الزعيم ١٢٥
١٩ـ عبدالناصر والمستقبل ١٣١
٢٠ـ لجنة الأحزاب والحزب الناصرى ١٣٩
٢١ـ لماذا سكت الوفد عن الفساد .. ؟ ١٤٧
٢٢ـ إنتهى عصر القبائل ١٥٧

كتب للمؤلف

١ ــ قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير	الناشر ــ دار الشعب ١٩٧٥
٢ ــ حالة متأخرة جداً (مسرحية من فصل واحد)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٧٧
٣ ــ الغضب (مسرحية من فصل واحد)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٧٨
٤ ــ صوت مصر: أحمد شوقى أمير الشعراء	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٧٥
٥ ــ البوليس السياسى يحكم مصر	الناشر: القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٥
٦ ــ الصامتون فى الميزان	الناشر: القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٦
٧ ــ التنظيمات السرية لثورة يوليو	الناشر: مكتبة مدبولى ١٩٨٢
٨ ــ دكتاتورية السادات	الناشر: مكتبة مدبولى ١٩٨٣
٩ ــ يوميات ببغاء (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب ١٩٨٣
١٠ ــ عصابة الخمسة والمهراجا (للأطفال)	الناشر: مكتبة ماجد بدولة الامارات العربية ١٩٨٦
١١ ــ معروف الاسكافى (للأطفال)	الناشر: الف باء تحت الطبع
١٢ ــ الطائر الأزرق (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب تحت الطبع
١٣ ــ القط والجرس (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب تحت الطبع
١٤ ــ شهية الشجرة (للأطفال)	الناشر: هيئة الكتاب تحت الطبع
١٥ ــ حكاية جمال عبد الناصر (للفتيان والفتيات) جزء / ١	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
١٦ ــ حكاية جمال عبد الناصر (للفتيان والفتيات) جزء / ٢	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
١٧ ــ حكاية جمال عبد الناصر (للفتيان والفتيات) جزء / ٣	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥
١٨ ــ حكاية جمال عبد الناصر (للفتيان والفتيات) جزء / ٤	الناشر: دار المستقبل العربى ١٩٨٥

رقم الايداع ٨٧/٢٢٧٧
٩٧٧ ــ ١١٣ ــ ٠٥٧ ــ ٨

طبع بالمطبعة الفنية ت : ٩١١٨٦٢

هـــذا الكتاب

الناصرية الجديدة ليست بحثاً عن المجهول فى سراب الواقع المرّ الذى نعيشه .. بل هى بحث دؤوب عن طريق سرنا فيه وألفناه ، طريق عشنا فيه اجمل أيام عمرنا وأشدها نصاعة حيث كانت إستقلالية قرارنا السياسى فى يدنا ونابعة من ارادتنا ..

ان الزعم بأن هذا الطريق قد إنسد ، وامتلاء بالحجارة ، ودفنته الرمال ولم يعد له أثر أو وجود ، زعم باطل بلاشك .. ، لأن الطريق موجود ، ونعرفه جيداً ودليلنا إليه الميثاق الوطنى و بيان ٣٠ مارس .. لكن الباب لن يفتح إلا لمن يطرقه .. ، ونحن قادرون على طرقه والدق عليه طويلاً ..

وهذا الكتاب محاولة للوصول إلى الطريق لا بطرق الباب أو بالدق عليه .. أو بالصبر .. انما بالغضب ..

« جمال سليم »

053
س

مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ت : ٧٥٦٤٢١
تنفيذ : المطبعة الفنية ت : ٩١١٨٦٢